

سلسلة إصدارات مركز المحتسب للاستشارات (٢٥)

الحسبة على الطوائف البدعية



تأليف

الدكتور/ الشيخ محمد عبد الكريم الشيخ

رئيس قسم الثقافة الإسلامية بجامعة الخرطوم

الحسبة على الطوائف البدعية

تأليف

الدكتور / الشيخ محمد عبد الكريم الشيخ

رئيس قسم الثقافة الإسلامية بجامعة الخرطوم

الطبعة الأولى

١٤٣٧هـ

الطبعة الأولى

١٤٣٧هـ

ح دار المحتسب للنشر والتوزيع، ١٤٣٧ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

عبد الكريم، الشيخ محمد

الحسبة على الطوائف البدعية

الشيخ محمد عبد الكريم، الرياض، ١٤٣٧ هـ.

ص١١١؛ ١٤×٢٠سم

ردمك: ٢-٣-٩٠٥٧٩-٦٠٣-٩٧٨

١- الحسبة ٢ - الوعظ والإرشاد أ. العنوان

ديوي ٢٥٧,٢ ١٩٢٣/ ١٤٣٧

رقم الإيداع: ١٩٢٣/ ١٤٣٧

ردمك: ٢-٣-٩٠٥٧٩-٦٠٣-٩٧٨



المحتسب للاستشارات

مقدمة

إن الحمد لله، نحمدُه ونستغفره ونستعينه ونستهديه، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسنا ومن سيئاتِ أعمالنا، من يهْدِ اللهُ فلا مضِلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أنْ لا إله إلا اللهُ وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه، بعثه اللهُ رحمةً للعالمين، هاديًا ومبشرًا ونذيرًا، بلّغ الرسالة، وأدّى الأمانة، ونصحَ الأمّةَ، فجزاهُ اللهُ خيرَ ما جزى نبيًا من أنبيائه، صلواتُ اللهِ وسلامه عليه وعلى جميع الأنبياء والمرسلين، وعلى صحابته وآل بيته، وعلى من أحبهم، إلى يوم الدين. أما بعد:

فإن البدع مظهر نشاز في المسلمين، وجرح غائر يستشري في أقطار كثيرة، ويظهر في صور متعددة؛ وما يزال غلًّا كئيبًا على عقول المسلمين بالتقليد والتعصب والجهل، وتشكل البدع ظلامًا على الأبصار يحجب نور السنة وفرقان الاتباع، وكل بدعة في دين الله - قديمةً كانت أو حديثةً - لها ما يضادها في شرع الله مما سطر العلماء فيه جهودًا مكتوبة ومواقف مشهودة، ونحن نحاول في هذه الرسالة الوقوف على مسألة: «**الحسبة على الطوائف البدعية**»،

وما يكتنفها من الأحكام من خلال النصوص الشرعية، والاجتهادات الفقهية، والإفادة من التجارب الاحتسابية، في تجلية تلك الأحكام في ضوء فقه المصالح الشرعية.

إن ظهور المبتدعة سنة جرت في هذه الأمة كما وقعت من قبل في الأمم السابقة، فعن عوف بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أن الرسول ﷺ قال: «**افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، فواحدة في الجنة وسبعون في النار، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، فإحدى وسبعون في النار وواحدة في الجنة، والذي نفس محمد بيده، لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، فواحدة في الجنة واثنتان وسبعون في النار**»[١].

فالابتداع هو باب الشيطان إلى الغواية والإضلال والضلال، ومنه دخل على الأمم السابقة يضلهم ويمنيهم ويغويهم، ويزيّن لهم أبواب الابتداع، حتى غيروا كتب الله وحرفوها وبدلوها؛ فأحلوا ما حرم الله، وحرموا ما أحل الله.

لا شك أن الابتداع هو الطريق القصير إلى تشويه الدين وطمس معالم الإشراق فيه، لأنه افتئات وقول بغير علم على الله وعلى رسوله، بله هو الاشتراك مع الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ في التشريع بما لم يأذن به

(١) انظر حديث رقم: (١٠٨٢) في صحيح الجامع.



الله كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾﴾ [سورة الشورى: ٢١].

لا تكمن أهمية البدعة وخطورتها في الحديث عن حكمها ومعرفة مفهومها وحدها فحسب، رغم ما لذلك من أثر في وضع حد لمن وقع في البدعة أو لم يقع، ومن يسمى مبتدعًا أو لا، ومن يقع عليه التأثيم أو لا، وإنما تكمن الأهمية في كون البدعة تغييرًا في دين الله تعالى، وانحرافًا عن تشريع دقيق تناول جميع شئون الحياة تأصيلًا أو تفصيلًا، ولا نتكلم هنا بالضرورة عن حجم التغيير ودرجته، وإنما مجرد التغيير مهما كان صغيرًا حالًا، فإنه يؤول قطعًا إلى تغيير كبير مآلًا، لذلك لا ينظر إلى موضوع البدعة والاحتساب عليها من جهة درجتها مجردةً فحسب، وإنما من جهة ما تؤول إليه مع تعاقب الأجيال والأزمنة؛ ولهذا قال عبدالله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ لجماعة وجدهم متحلقين للذكر ينتظرون الصلاة: «هؤلاء صحابة نبيّكم ﷺ متوافرون، وهذه ثيابه لم تَبْلَ، وآنيته لم تُكسر، والذي نفسي بيده، إنكم لعلى ملة هي أهدى من ملة محمد، أو مفتتحو باب ضلالة!»[1]. قال عمرو بن سلمة: فرأينا عامة أولئك الحلق يطاعنونا يوم النهروان مع الخوارج».

(١) رواه الدارمي في سننه، وصححه الألباني.

❁ ما يستفاد من أثر ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ وما تبعه من زيادة عمرو بن سلمة:

(١) اعتبار عبد الله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ للعامل الزماني في التغيير، باعتباره مؤثرًا في البدعة.

(٢) أن البدعة فتح لباب الضلالة من حيث هي، ومخالفة لهدي النبي ﷺ وأصحابه.

(٣) إنكاره واحتسابه رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ على هؤلاء المتحلقين، رغم كون ظاهر عملهم خيرًا، حتى في بداية الإحداث والابتداع.

(٤) مآل البدعة ومنتهاها من حيث درجتها ونوعها ليس مرتبطًا ببدئها، فالذي يحيد لا يكاد يثبت في مكان حيدته، بل قد ينتهي الأمر بما لا علاقة له بمبتداه، وهذا يجعلنا ننظر في العوامل المؤثرة في الابتداع، ونلحظ هذا في كونهم بدؤوا بالتحلق، وانتهى الأمر بهم إلى انتحال عقيدة الخوارج.

❁ أهمية الحسبة على الطوائف البدعية:

مما علم بالضرورة من أهداف الحسبة الأساسية: حماية دين الله تعالى، بضمان تطبيقه في حياة الناس الخاصة والعامة، وصيانته من التعطيل أو التبديل أو التحريف، ولا يتأتى ذلك إلا بمنع البدع في الدين ومحاربتها، وإيقاع العقاب الشرعي الزاجر على مرتكبيها؛



ولأجل ذلك كان العلم بالطوائف والفرق ومقالاتهم له أهميته البالغة؛ لرصد وكشف المذاهب المنحرفة عن الصراط المستقيم، فذلك من الأمور المهمة التي ينبغي الاهتمام الجاد بدراستها وإعطائها حقَّها من المتابعة والبحث، تحقيقًا لقول الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ۝٥٥﴾ [سورة الأنعام: ٥٥].

هذا والمتأمل في نصوص القرآن الكريم يجد أن الله تعالى قد بين سبل المجرمين ومقالات المشركين على اختلاف مراتبهم ودرجاتهم، مبينًا زيفها، محذرًا منها ومن أصحابها في أكثر من موضع في كتاب الله تعالى، كقوله الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ۝١٨١﴾[سورة آل عمران: ١٨١].

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ۝١٧١﴾ [سورة النساء: ١٧١].

وقال تعالى عن مقالات منكري البعث: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ۝٧٨ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِيٓ

أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾[سورة يس: ٧٨-٧٩].

وعن مقالات منكري وجود الله، قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾[سورة البقرة: ٢٥٨].

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «العالمون بالله وكتابه ودينه، عرفوا سبيل المؤمنين معرفة تفصيلية، وسبيل المجرمين معرفة تفصيلية، فاستبانت لهم السبيلان، فهؤلاء أعلم الخلق وأنفعهم للناس، وأنصحهم لهم، وهم الأدلاء الهداة، وبذلك برز الصحابة على جميع من أتى بعدهم إلى يوم القيامة، فإنهم نشأوا في سبيل الضلال والكفر والشرك والسبل الموصلة إلى الهلاك وعرفوها مفصلة، ثم جاء الرسول ﷺ فأخرجهم من الظلمة الشديدة إلى النور التام، ومن الظلم إلى العدل، فعرفوا مقدار ما نالوه وظفروا به، ومقدار ما كانوا فيه، فإن الضد يظهر حسنه الضد، وإنما تتبين الأشياء بأضدادها، فازدادوا رغبة ومحبة فيما انتقلوا إليه، ونفرة وبغضًا لما انتقلوا عنه»[١].

(١) الفوائد، (ص:١٠٨-١٠٩)، ط دار الكتب العلمية (١٣٩٣هـ).



وهذا المفهوم يجليه قول عمر الفاروق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية»[1].

والرد على أهل الأهواء والبدع حتى تنقطع شبههم ويزول عن المسلمين ضررهم، مرتبة عظيمة من مراتب الجهاد باللسان، فقد صح من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن النبي ﷺ قال: «**جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم**»[2].

وقال الإمام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «فالراد على أهل البدع مجاهد، حتى كان يحيى بن يحيى يقول: الذب عن السنة أفضل من الجهاد»[3].

وقال أيضًا: «وإذا كان النصح واجبًا في المصالح الدينية الخاصة والعامة؛ مثل: نقلة الحديث الذين يغلطون ويكذبون، ومثل: أئمة البدع من أهل المقالات المخالفة للكتاب والسنة، فإن بيان حالهم وتحذير الأمة منهم واجب باتفاق المسلمين، حتى قيل

---

(١) تيسير العزيز الحميد، (ص:٩٠).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (١٩/ ٢٧٢) ح (١٢٢٤٦)، وإسناده صحيح على شرط مسلم، وأخرجه أبو داود (٢٥٠٤)، والنسائي (٦/ ٥١)، والحاكم (٢/ ٨١) وصححه، ووافقه الذهبي، والضياء في المختارة (١٩٠٥).

(٣) مجموع الفتاوى (٤/ ١٣).

لأحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الرجل يصوم ويصلي ويعتكف أحب إليك؟ أو يتكلم في أهل البدع؟ فقال: إذا قام وصلَّى واعتكف فإنما هو لنفسه، وإذا تكلم في أهل البدع فإنما هو للمسلمين، هذا أفضل. فبين أن هذا نفع عام للمسلمين في دينهم، وهو من جنس الجهاد في سبيل الله؛ إذ تطهير سبيل الله ودينه ومنهاجه وشرعته ودفع بغي هؤلاء وعدوانهم على ذلك واجب على الكفاية باتفاق المسلمين، ولولا من يقيمه الله لدفع ضرر هؤلاء، لفسد الدين، وكان فساده أعظمَ من فساد استيلاء العدو من أهل الحرب؛ فإن هؤلاء إذا استولوا لم يفسدوا القلوب وما فيها من الدين إلا تبعًا، وأما أولئك فهم يفسدون القلوب ابتداءً»[(١)].

وقد كان حذيفة بن اليمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا يقول: «كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر؛ مخافة أن يدركني»[(٢)].

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تعليقه على أحاديث النهي عن التفرق:

(١) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٢٣١-٢٣٢).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الفتن، باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة؟ (انظر فتح الباري (١٣/ ٣٥) ح (٧٠٨٤)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن وتحذير الدعاة إلى الكفر (٦/ ٢٠).

«وهذا المعنى محفوظ عن النبي ﷺ من غير وجه، يشير إلى أن التفرق والاختلاف لا بد من وقوعهما في الأمة، وكان يحذر أمته منه؛ لينجو من الوقوع فيه من شاء الله له السلامة»[١].

إن عدم دراسة الفرق والرد عليها وإبطال الأفكار المخالفة للحق عندها، فيه إفساح المجال للفرق المبتدعة أن تفعل ما تريد، وأن تدعو إلى كل ما تريد؛ من بدع وخرافات، دون أن تجد من يتصدى لها بالدراسة والنقد كما هو الواقع، فإن كثيرًا من طلاب العلم - فضلًا عن عوام المسلمين - يجهلون أفكار فرق يموج بها العالم، وهي تعمل ليلًا ونهارًا لنشر باطلها، ولعل هذه الغفلة من المسلمين عن التوجه لكشف هذه الفرق المارقة، لعله من تخطيط أولئك المارقين الذين يحلو لهم حجب الأنظار عنهم، وعن مخططاتهم الإجرامية، ولا أدل على ذلك من تلك الأفكار وبعض العبارات التي يرددها كثير من المسلمين في كثير من المجتمعات الإسلامية دون أن يعرفوا أن مصدرها إما من الخوارج؛ مثل قولهم: «لا حجة في شيء من أحكام الشريعة إلا من القرآن، أما السنة فلا حجة فيها».



(١) اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ١٢٧).

ومثل استحلال دماء المسلمين لأقل شبهة، وتكفير الشخص بل المجتمعات الإسلامية بأدنى ذنب.

أو من المعتزلة؛ مثل: تمجيد العقل، وتحكيمه في نصوص الشرع قرآنًا وسنة، فما وافقه قبل وإلا فيرد.

أو من الشيعة؛ مثل: تكفير الصحابة أو بعضهم، واتهامهم بالكذب، والخوض في فتنة عثمان وعلي ومعاوية -رضوان الله على الجميع-.

أو من البهائية؛ مثل: تقديس العدد تسعة عشر.. إلى غير ذلك.

ومن المعلوم: أن ذلك إنما يعود إلى الجهل بأفكار وأهداف هذه الفرق التي أضلت كثيرًا من شباب هذه الأمة في كثير من المجتمعات الإسلامية قديمًا وحديثًا، من هنا تأتي أهمية دراسة الفرق وكشف القناع عن أهوائها وبدعها؛ ليكون ذلك الكشف نورًا يضيء لشباب الأمة طريقه، وسط هذا الظلام الفكري المفتعل من قِبل ذيول تلك الفرق التي تعمل في الظلام؛ لنشر أفكارها، وفرض مخططاتها المعادية للإسلام.

يتضح لنا من جهةِ أهميةِ دورِ الحسبة في تهيئة المجتمع الصالح بتدعيم الفضائل وإنمائها، ومحاربة الرذائل وإخمادها، وجِهةِ فداحةِ البدعة وطوائفها على صلاح الدين، ودورِها في تقويض لحمة النسيج المجتمعي؛ ضرورة الأخذ على يد المبتدعة، وأطرهم



على الحق أطرًا؛ للحد من استفحال خطرهم وتطاير شررهم.

وإذا كان المحتسب معنيًا بمنع المنكرات الظاهرة، ويعاقب مرتكبيها إن كان ممن يوكل إليه العقاب فيه، أو يرفعه إلى القضاء إن كان مما يختص القاضي بالفصل فيه، كما أنه يتتبع مواطن الريب والشبهة، فيمنع وقوع المنكرات فيها، مثل: مواطن اختلاط الرجال بالنساء، والأماكن التي يرتادها أهل الشك والريب، بل يتعدى ذلك إلى العناية بالمواصفات والمقاييس في المطاعم والمشارب، حتى في صناعة الزلابية[1]، فكيف بمنكرات البدع

(١) تسمى في بعض البلاد ب(لقمة القاضي)، قال الشيخ عبد الرحمن بن نصر بن عبد الله: "الباب الثامن في الحسبة على صناع الزلابية: ينبغي أن يكون مقلى الزلابية من النحاس الأحمر الجيد، فأول ما يحرق فيه النخالة، ثم يدلكه بورق الصلق إذا برد، ثم يعاد إلى النار، ويجعل فيه قليل (من) عسل، ويوقد عليه حتى يحترق العسل ثم يجلى بعد ذلك بمدقوق الخزف، ثم يغسل ويستعمل، فإنه ينقى من وسخه، وزنجاره.

(١٢) (ب) فصل: ويكون ثلث دقيق الزلابية ناعمًا (وثلثاه) سميذًا خشكنانيًا؛ لأنه إذا كثر فيه السميذ زادت الزلابية بياضًا، وخفة في الوزن، ونضجًا غير أن السميذ يشرب من الزيت أكثر من الناعم، فلهذا يكرهونه، وأجود ما قليت به الشيرج، فإن لم يكن فالزيت الصافي، ولا يشرع في قليها حتى يختمر عجنها، وعلامة اختمارها أنها تطفو على وجه الزيت، والفطير منها يرسب في أسفل المقلى، والمختمر أيضًا يكون مثل الأنابيب، إذا جمعتها في كفك اجتمعت، والفطير تكون مرضوضة، وليس فيها تجويف. ولا يجعل في عجينها ملح؛=



التي تشوه الدين وتوهنه؟!

قال الشيخ عبد الرحمن بن نصر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ويتقدم المحتسب إلى جيران كل مسجد بالمواظبة على صلاة الجماعة عند الأذان؛ لإظهار معالم الدين وإشهار شعار الإسلام، سيما في هذا الزمان؛ لكثرة البدع واختلاف الأهواء، وتنوع الباطنية، وما قد صرحوا به من تعطيل الشريعة، وإبطال أحكام الإسلام؛ فيجب على كل مسلم إظهار أركان الإسلام، وإشهار الشريعة في مقابلة ذلك؛ لتقوى عقائد العامة»(١).



= لأنها تؤكل بالعسل؛ فتغثى النفس إذا كانت بالملح، وأما سواد الزلابية فقد يكون من وسخ المقلى، وقد يكون دقيقها ناعمًا لا سميذ فيه، أو تكون مقلوة بالزيت المعاد، وهو الذي قلي به، وربما تكون فطيرًا فتسود، وربما جارت عليها النار لسوء الصناعة؛ فيعتبر عليهم المحتسب جميع ذلك. وينبغي أن تصنع سلالمـًا صغارًا لطافًا كل أربعين منها رطل، ومتى حمض عجينها جعله (الصانع) خميرًا، والله أعلم". الكتاب: نهاية الرتبة الظريفة في طلب الحسبة الشريفة.

قلت: فإذا كان هذا في عناية أرباب الحسبة بالزلابية، فما هو الظن بالعقيدة والأفكار؟!

(١) نهاية الرتبة الظريفة في طلب الحسبة الشريفة (١/ ١٠٨).





الحسبة في اللغة:

الحسبة في اللغة مصدر احتسابك الأجر على الله[١].

وعرفها الماوردي وأبو يعلى الحنبلي بأنها: «أمر بالمعروف إذا ظهر تركه، ونهي عن المنكر إذا ظهر فعله».

ومن معانيها: الأجر وحسن التدبير والنظر، ومنه قولهم: «فلان حسن الحسبة في الأمر» إذا كان حسن التدبير له.

ومن معاني الاحتساب: البدار إلى طلب الأجر وتحصيله، وفي حديث عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أيها الناس احتسبوا أعمالكم؛ فإن من احتسب عمله كتب له أجر عمله وأجر حسبته».

واسم الفاعل المحتسب أي: طالب الأجر.

ومن معانيها: الإنكار يقال: احتسب عليه الأمر إذا أنكره عليه.

---

(١) لسان العرب لابن منظور (١/ ٣١٤).



والاختبار يقال: احتسبت فلانًا أي: اختبرت ما عنده.

الحسبة اصطلاحًا:

عرفها جمهور الفقهاء: بأنها الأمر بالمعروف إذا ظهر تركه، والنهي عن المنكر إذا ظهر فعله.

وعرفها الإمام الغزالي بأنها: «المنع عن منكر لحق الله؛ صيانة للممنوع عن مقارفة المنكر».

والحسبة نشأتها: ترجع إلى النصوص الشرعية التي تدعو إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [سورة آل عمران: ١٠٤].

فالحسبة على هذا شاملةٌ ليست قاصرةً على باب دون باب من أبواب الشريعة، كأن تُحصَر في الاحتساب على منكرات الأسواق أو الأفراح، أو الاحتساب على الآداب الاجتماعية، أو الاحتساب على أداء الصلوات .. ونحو ذلك؛ فهذا كله من الحسبة بلا شك، لكنه ليس الحسبةَ كلَّها، وإنما الحسبة تدخل في أمور الدين كلها: ما تعلق بالأفراد، وما تعلق بالمجتمع، وما تعلق بالسلطة، وما تعلق بالاعتقادات أو العبادات أو المعاملات أو السياسة أو الاقتصاد.



يقول الماوردي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: «الحسبة هي أمر بمعروف إذا أظهر تركه، ونهي عن منكر إذا أظهر فعله»[1].

أما عن مقصود الحسبة في الإسلام فيقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فهذه قاعدة في الحسبة، أصل ذلك أن تعلم أن جميع الولايات في الإسلام مقصودها أن يكون الدين كله لله، وأن تكون كلمة الله هي العليا، فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إنما خلق الخلق لذلك، وبه أنزل الكتب، وبه أرسل الرسل، وعليه جاهد الرسول ﷺ والمؤمنون، قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾[سورة الذاريات:٥٦].

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ۝٢٥﴾ [سورة الأنبياء:٢٥].

وقال: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾[2]» [سورة النحل:٣٦].

إن قيام الحسبة في أي مجتمع كان؛ هي بمثابة صمام أمان لذلك المجتمع، أو هي بمثابة جهاز صيانة دائمة في أوساط المجتمع،

---

(١) الأحكام السلطانية للماوردي الباب العشرون: في أحكام الحسبة، (ص: ٢٩٨-٢٩٩).

(٢) الحسبة في الإسلام لابن تيمية (١/ ١٧٥).

تحول بين أفراد ذلك المجتمع وبين الوقوع في مخالفة الشرع، فالحسبة بمفهومها الشمولي العام لا غنى عنها لأمة أو مجتمع يريد أن يطبق منهج الله في أرضه، فبقيامها تحصل له الخيرية الواردة في قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [سورة آل عمران: ١١٠].

ولأهمية الحسبة وشرف منزلتها في الإسلام فإنه كان أئمة الصدر الأول يباشرونها بأنفسهم؛ لعموم صلاحها وجزيل ثوابها[(١)].

وانطلاقًا من هذه الأهمية للحسبة، فإن تعلمها ومعرفةَ أحكامها وفقهها لا يقل أهمية عن ما نوهنا عنه أعلاه، «فالاحتساب من أدق العلوم وأسماها، ولا يدركه ويقوم به إلا من له فهم ثاقب، وحدس صائب، ولا تسند ولايته إلا لمن له قدرة قدسية مجردة عن الميل والهوى». واكتملت في حقه الشروط والآداب التي قررها الفقهاء والتي يأتي بيانها.

وتعتبر الحسبة فرض عين بالنسبة للمحتسب، بحكم ولايته ووظيفته، فهو مسئول عن القيام بواجبه كلما وجد الضرورة لذلك، أما بالنسبة للمتطوع فلا تعتبر في حقه فرض عين، وإنما هي فرض كفاية؛ لأنه غير مكلّف بها، ويجب على كل مسلم على وجه

(١) راجع: أصول الدعوة، د. عبد الكريم زيدان ١/ ١٧٦.



الكفاية أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، تدعيمًا للمسئولية الجماعية، وتأكيدًا لرفض المجتمع الإسلامي كل انحراف أو زلل في مسيرته.

وقد قال إمام الحرمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في «الغياث»**: «والذي أراه، أن القيام بفرض الكفاية أفضل من فرض العين؛ لأنه لو ترك المتعين لاختص هو بالإثم، ولو فعله اختص بسقوط الفرض، وفرض الكفاية لو ترك أثم الجميع، ولو فعله سقط الحرج عن الجميع، ففاعله ساعٍ في صيانة الأمة عن الإثم، ولا يشك في رجحان من حل محل المسلمين أجمعين في القيام بمهمة من مهمات الدين».

ويجب على المحتسب المتفرغ لهذه المهمة أن يستعين بأعوان يساعدونه في مهمته من أصحاب الاختصاص، كما يجوز له أن يعاقب ويزجر باسم السلطة كل مَن يتجاوز حدود الشرع، في غير الحدود، ولا يجوز للمتطوع أن يقوم بذلك من غير تكليف أو ولاية له بهذا الشأن، وإلاّ انتشرت الفوضى، فالمتطوع لا يجوز له أن يتجاوز حدود الإنكار، أو أن يجعل من نفسه وصيًا باسم السلطة على مصالح الأمة؛ إذ إن ذلك لا يجوز إلاّ بتكليف من السلطة المختصة[١].

---

(١) (الحسبة بين الأمس واليوم) د. محمد فاروق النبهان.



المبحث الثاني
تعريف البدعة وخطورتها

البدعة:

اسم هيئة من: بَدَع، وهو ابتداء الشيء وصُنْعُهُ لا عن مثالٍ سابق(١).

وفي أسماء الله تعالى: البديع، وهو: الخالق المخترع(٢).

والعرب تقول: «ابتدع فلانٌ الرَّكيّ»: إذا استنبطه(٣).

قال تعالى: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ﴾ [سورة الأحقاف: ٩].

أي: ما كُنت أوّل المرسلين.

والبدعة في الاصطلاح العامّ: خلاف السُّنة(٤)، وتطلق على الحدث في الدين بعد الإكمال، وما استُحدث بعد النبي ﷺ من الأهواء والأعمال(٥).

---

(١) معجم مقاييس اللغة (١/ ٢٠٩).

(٢) النهاية في غريب الحديث، (ص:٦٧).

(٣) القاموس المحيط، (ص:٩٠٦)، والرَّكِي: هي البئر.

(٤) التعريفات للجرجاني، (ص:٥)، وبصائر ذوي التمييز للفيروزآبادي (٢/ ٢٣١).

(٥) القاموس المحيط، (ص:٩٠٦).



وعلى هذا؛ فإنّ البدعة قد تكون لغويّة فحسب، فتطلق على كل مستحدث؛ كالمخترعات الحديثة مثلًا، وقد تكون في الاصطلاح العام فتطلق على كل ما خالف السُّنّة، ولو لم يكن بدعة ضلالة محرّمة؛ كمن ترك سُنّة من سنن الوضوء، فهذا يصح أن يقال عن صفة وضوئه أنه بدعة، **بمعنى**: أنّه خلاف السُّنة، وإن لم يكن مبتدعًا بالمعنى الاصطلاحي الخاص، قال ابن الأثير: «وأكثر ما يُستعمل المبتَدَع عُرْفًا في الذمّ، أي: أنّه إذا أطلق لفظ البدعة فإنّه يراد به المذموم شرعًا».

هذا وإن من أجمع الحدود والتعريفات الاصطلاحية للبدعة مما وقفت عليه في كلام العلماء على كثرتها، ثلاثة تعريفات؛ نظرًا لاستيعابها وشمولها:

الأول: تعريف الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «البدعة هي: كل شيء ليس له مثال متقدم، فيشمل لغة ما يحمد ويذم، ويختص في عرف الشرع بما يذم، وإن وردت في المحمود فعلى معناها اللغوي»(١).

والثاني: تعريف الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «البدعة: طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية، يقصد بالسلوك عليها ما يقصد بالطريقة الشرعية»(٢).

---

(١) فتح الباري (١٣/ ٢٥٣).

(٢) الاعتصام (١/ ٣٧).



والثالث: تعريف ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «البدعة في الدين هي: ما لم يشرعه الله ورسوله ﷺ، وهو ما لم يأمر به أمر إيجاب ولا استحباب، فأما ما أمر به أمر إيجاب واستحباب وعلم الأمر به بالأدلة الشرعية، فهو من الدين الذي شرعه الله، وإن تنازع أولو الأمر في بعض ذلك، وسواء إن كان هذا مفعولًا على عهد النبي ﷺ أو لم يكن».

وعرف شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ **البدعة في موضع آخر بقوله:** «فإن البدعة ما لم يشرعه الله من الدين، فكل من دان بشيء لم يشرعه الله، فذاك بدعة وإن كان متأولًا فيه، وهذا موجود من جميع أهل التأويل المفترقين من الأولين والآخرين»[1].

ففرق رَحِمَهُ ٱللَّهُ **بين وصف الفعل بالبدعة**، ووصف صاحبه بالمبتدع، سواء كان رأسًا في بدعته، أو تابعًا مستترًا.

وقد دلت التعريفات الثلاثة السابقة على أمور لا بد من التنبيه عليها، وهي:

١) أن البدعة التي تحتمل وجهي المدح والذم إنما هي البدعة اللغوية، أما الشرعية فإنها مخصوصة في عرف الشارع بما يذم، كما مر في تعريف الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ إن

(١) الفتاوى (٤ / ١٠٧-١٠٨).



كان فيما لا أصل له في الشريعة يدل عليه، وأما ما كان له أصل من الشرع يدل عليه فليس ببدعة شرعًا، وإن كان بدعة لغة كصلاة التراويح التي أطلق عليها عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لفظ البدعة، ولو أن له أصلًا ثابتًا منقولًا عنه ﷺ، وهذا مما أدركته عهدة اللغة فغلبت عليه، فسمي بدعة بجانب الجدة والحدوث في بعض جوانبه أو صفاته.

قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ما وقع في كلام السلف من استحباب بعض البدع فإنما ذلك في البدع اللغويّة لا الشرعيّة»[1].

ويقول ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإن البدعة الشرعية -أي: المذمومة في الشرع- هي: ما لم يشرعه الله في الدين، أي: ما لم يدخل في أمر الله ورسوله، وطاعة الله ورسوله، فأما إن دخل في ذلك فإنه من الشرعة لا من البدعة الشرعية، وإن كان قد فعل بعد موت النبي ﷺ بما عرف من أمره، كإخراج اليهود والنصارى بعد موته، وجمع المصحف، وجمع الناس على قارئ واحد في قيام رمضان.. ونحو ذلك. وعمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ الذى أمر بذلك وإن سماه بدعة؛ فإنما ذلك لأنه بدعة في اللغة؛ إذ كل أمر فعل على غير مثال متقدم يسمى في اللغة بدعة، وليس مما تسميه الشريعة بدعة وينهى عنه، فلا يدخل فيما رواه مسلم في صحيحه عن جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «كان

(١) جامع العلوم والحكم (ص:٢٦).



رسول الله ﷺ يقول في خطبته: **إن أصدق الكلام كلام الله، وخير الهدى هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة**».

فإن قوله ﷺ: «**كل بدعة ضلالة**»، حق؛ وليس فيما دلت عليه الأدلة الشرعية استحباب البدعة، كما قال في الحديث الذى رواه أهل السنن وصححه الترمذى عن العرباض بن سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة، ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقلنا: يا رسول الله، كأن هذه موعظة مودع، فماذا تعهد إلينا؟ فقال ﷺ: «**أوصيكم بتقوى الله، وعليكم بالسمع والطاعة، وإن كان عبدًا حبشيًا، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثاتِ الأمور؛ فان كل بدعة ضلالة**»، وفى رواية: «**فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة**»، وفى رواية: «**وكل ضلالة في النار**».

ففى هذا الحديث أمر المسلمين باتباع سنته ﷺ، وسنة الخلفاء الراشدين، وبين أن المحدثات التي هي البدع التي نهى عنها ما خالف ذلك، فالتراويح.. ونحو ذلك لو لم تعلم دلالة نصوصه وأفعاله عليها لكان أدنى أمرها أن تكون من سنة الخلفاء الراشدين، فلا تكون من البدع الشرعية التي سماها النبي ﷺ بدعة



ونهى عنها»[1].

ومن استعمال الاصطلاح العام بمعنى مخالفة السُّنة: قول ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «لَمّا سُئِل عن صلاة الناس الضُّحى؟ قال: بدعة»[2].

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «إنما أنكر ابن عمر رَحِمَهُ اللَّهُ ملازمتها، وإظهارها في المساجد، وصلاتها جماعة؛ لأنّها مخالفة للسُّنّة»[3].

وكذلك قول عمرَ بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ: «إظهار المعازف والمزمار بدعة في الإسلام». فالحاصل أن البدع كلها محرمة؛ لعموم قول النبي ﷺ: «**كل بدعة ضلالة**»، وما سُمّي بدعة ولم يطلق عليه وصف الذم والتحريم فهو ليس بدعة في الدين.

٢) لا مجال لتقسيم البدعة الشرعية إلى حسنة وقبيحة؛ لأن هذا التقسيم مما لا دليل عليه، بل الدليل على خلافه؛ لقوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة**»[4].

---

(١) مجموع الفتاوى (٣١/ ٣٧).

(٢) صحيح البخاري (١٧٧٥)، صحيح مسلم (١٢٥٥).

(٣) فتح الباري (٣/ ٥٣).

(٤) سنن ابن ماجه (٤٣)، ومسند أحمد (٤/ ١٢٦) من حديث العرباض بن سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وله شاهد من حديث أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند ابن ماجه.

يقول الإمام الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **بعد أن رد تقسيم البدعة الشرعية، وبالغ في ذلك، فقال** رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: «والجواب أن هذا التقسيم أمر مخترع، لا يدل عليه دليلٌ شرعي، بل هو في نفسه متدافع؛ لأن من حقيقة البدعة ألا يدل عليها دليلٌ شرعي، لا من نصوص الشرع، ولا من قواعده؛ إذ لو كان هناك ما يدل من الشرع على وجوب أو ندب أو إباحة لما كان ثَمّ بدعة، ولكان العمل داخلًا في عموم الأعمال المأمور بها أو المخير فيها، فالجمع بين عدِّ تلك الأشياء بدعًا وبين كون الأدلة تدل على وجوبها أو ندبها أو إباحتها جمع بين متنافيين»[١].

يقول شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولا يحل لأحد أن يقابل هذه الكلمة الجامعة من رسول الله ﷺ الكلية، وهي قوله ﷺ: «كل بدعة ضلالة» بسلب عمومها، وهو أن يقال: "ليست كل بدعة ضلالة"! فإن هذا إلى مشاقة الرسول ﷺ أقرب منه إلى التأويل، بل الذي يقال فيما ثبت أنه حسن من الأعمال التي قد يقال بأنها بدعة، يقال: إن هذا العمل المعين مثلًا ليس ببدعة، فلا يندرج في الحديث، أو إن اندرج فإنه مستثنى من هذا العموم؛ لدليل كذا وكذا، الذي هو أقوى من العموم، مع أن الجواب الأول أجود، وهذا الجواب فيه نظر: فإن قصد التعميم المحيط ظاهر من

(١) الاعتصام (١/ ١٤٢).

رسول الله ﷺ بهذه الكلمة الجامعة، فلا يعدل عن مقصده بأبي هو وأمي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ"[1].

فشيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ لا يستسيغ القول بتخصيص عموم هذه الكلمة الجامعة، وإن بقيت حجة بعد تخصيصها، ويميل إلى أن الصورة المستثناة لم تعد بدعة أصلًا بعد استثنائها، ثم إن الزعم بأن في الدين بدعة حسنة مؤداه أن الله تعالى لم يكمل دينه، ولم يتم النعمة على الأمة، وهو على خلاف قول الله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [سورة المائدة: ٣].

فالدين الذي رضيه الله تعالى لنبيه ﷺ هو الدين الذي رضيه الله تعالى لنا، ومن ادعى واستحدث قربة لم يفعلها النبي ﷺ **فهو بين أمرين: أحلاهما مرٌّ:**

- إما أن يزعم أن الرسول ﷺ علم هذه العبادة ولكنه لم يخبر عنها؛ وهذا اتهام للرسول ﷺ بالخيانة في التبليغ.
- وإما أن يزعم أن الرسول ﷺ لم يعلم أن هذه عبادة وقربة، وأن هذا المسكين علم شيئًا لم يعلم المصطفى ﷺ به! وهذا اتهام لرسول الله ﷺ بالجهالة والضلالة!

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (١/ ٢٧٤).

وهذا منطق عقل صحيح أخذ به الصحابة -رضوان الله عليهم- في ردِ البدع التي ظهرت في زمانهم، كما تقدم في قصة عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بقوله لقوم رآهم على هيئة جديدة في الذكر والعبادة: «ويحكم! هؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ متوافرون، وثيابه لم تبل، وآنيته لم تكسر، والذي نفسي بيده، إنكم لعلى ملة أهدى من ملة محمد أو مفتتحو باب ضلالة! قالوا: والله، يا أبا عبد الرحمن، ما أردنا إلا الخير! قال: وكم من مريد للخير لم يصبه، إن رسول الله ﷺ حدثنا أن قومًا يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، وايم الله، ما أدري لعل أكثرهم منكم، ثم تولى عنهم، فقال عمرو بن سلمة: رأينا عامة أولئك الحلق يطاعنوننا يوم النهروان مع الخوارج»[1].

وقال ابن الماجشون رَحِمَهُ ٱللَّهُ **تعالى**: «سمعت مالكًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى يقول: من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمدًا ﷺ خان الرسالة؛ لأن الله يقول: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة:٣]، فما لم يكن يومئذٍ دينًا، فلا يكون اليوم دينًا»[2].

---

(١) سنن الدارمي (١/ ٦٠-٦١).

(٢) الاعتصام، (١/ ٢٧-٢٨).



ولهذا كان مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ كثيرًا ما ينشد:

«وخيـر أمـور الدين ما كان سـنةً وشر الأمور المحدثاتُ البدائعُ»[1].

قال معاذ بن جبل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يومًا: «إن من ورائكم فتنًا، يكثر فيها المال، ويفتح فيها القرآن، حتى يأخذه المؤمن والمنافق، والرجل والمرأة، والصغير والكبير، والعبد والحر، فيوشك قائل أن يقول: ما للناس لا يتبعوني، وقد قرأت القرآن؟! ما هم بمتبعيَّ حتى أبتدع لهم غيره، فإياكم وما ابتدع، فإن ما ابتدع ضلالة»[2].

إن من دعائم سلوك الصراط المستقيم الحذر من البدع والأهواء، وهو ما نبهت إليه الآية في قول الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾[سورة الأنعام: ١٥٣]، قال مجاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ﴾: البدع والشبهات».

وقول عبد الله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «كل بدعة ضلالة، وإن رآها الناس حسنًا»[3].

وهذا حال كثير من البلاد التي انتشرت فيها البدع، فقد شاب

---

(١) الاعتصام (١/ ٨٥).

(٢) سنن أبي داود (٤٦١١)، قال الألباني: صحيح الإسناد موقوف.

(٣) الاعتصام (١/ ٨٥).



الكبار وشب الصغار على البدعة، حتى ظنوها السنة، فإذا ما استبدلت بالسنة، استحسن الناس الأولى؛ لأنهم ألفوها، واستنكروا الثانية؛ لأنهم جهلوها.

وقوله أيضًا: «لا أعلم شيئًا في الإسلام أفضل عندي من أن قلبي لم يخالطه شيء من هذه الأهواء المختلفة».

فهي نعمة عظيمة أن يحفظ الله عَزَّوَجَلَّ على العبد قلبه من البدع والشبهات، ولله درُ أبي العالية رَحِمَهُ ٱللَّهُ حين قال في وصيته الغالية: "تعلموا الإسلام، فإذا تعلمتموه فلا ترغبوا عنه، وعليكم بالصراط المستقيم؛ فإنه الإسلام، ولا تحرَفوا يمينًا ولا شمالًا، وعليكم بسنة نبيكم وما كان عليه أصحابه من قبل أن يقتلوا صاحبهم، ومن قبل أن يفعلوا الذي فعلوا، وإياكم وهذه الأهواء التي تلقي بين الناس العداوة والبغضاء. فحُدث الحسن بذلك فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: صدق، ونصح"[١].

والمقصود أن من ترك لقلبه العنان لاتباع الهوى والشبهات فحتمًا يكون مآله الانحراف عن الصراط، والافتتان بالبدع نطقًا وفعلًا ودعاءً، كما قال أبو عثمان النيسابوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: «من أَمَّر السنة على نفسه قولًا وفعلًا نطق بالحكمة، ومن أَمَّر الهوى

(١) الحلية بمعناه (٢/ ٢٨١)، وسير أعلام النبلاء (٤/ ٢١٠).



على نفسه قولًا وفعلًا نطق بالبدعة، قال الله تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ [سورة النور: ٥٤].[١].

وقال أبو إدريس الخولاني: «لأن أرى في المسجد نارًا لا أستطيع إطفاءها، أحبّ إليّ من أن أرى فيه بدعةً لا أستطيع تغييرها»[٢].

ظهور البدع:

كان ظهور البدع والنفاق بحسب البعد عن السنن والإيمان، وكلما كانت البدعة أشد تأخر ظهورها، وكلما كانت أخف كانت إلى الحدوث أقرب، فلهذا حدثت أولًا بدعة الخوارج والشيعة، ثم بدعة القدرية والمرجئة، وكان آخر ما حدث بدعة الجهمية[٣].

وقد جاء ذم الخوارج عن النبي ﷺ، وثبت فيهم الحديث من وجوه كلها صحاح؛ لأن مقالتهم حدثت في زمن النبي ﷺ، وكلمه رئيسهم، وأما الإرجاء والرفض والقدر والتجهم والحلول.. وغيرها من البدع فإنها حدثت بعد انقراض عصر الصحابة، وبدعة القدر أدركت آخر عصر الصحابة، فأنكرها من كان منهم حيًّا: كعبدالله بن عمر، وابن عباس، وأمثالهما رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وأكثر ما يجيء

(١) الإعتصام (١/ ٩٦).

(٢) الاعتصام (١/ ٨٢).

(٣) العقيدة الأصفهانية (١/ ١٨٤).

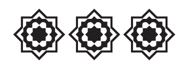


من ذمهم فإنما هو موقوف على الصحابة من قولهم فيهم.

ثم حدثت بدعة الإرجاء بعد انقراض عصر الصحابة، فتكلم فيها كبار التابعين الذين أدركوها كما حكيناه عنهم.

ثم حدثت بدعة التجهم بعد انقراض عصر التابعين، واستفحل أمرها واستطار شرها في زمن الأئمة: كالإمام أحمد وذويه.

ثم حدثت بعد ذلك بدعة الحلول، وظهر أمرها في زمن الحسين الحلاج، وكلما أظهر الشيطان بدعةً من هذه البدع.. وغيرها أقام الله لها من حزبه -حزب الله، وجنده- من يردها ويحذر منها[1].



(١) الحاشية على أبي داود لابن القيم (١٢/ ٢٧٨).



المبحث الثالث
تفاوت المبتدعة في بدعهم

من جهة حكم البدعة:

تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

(١) البدعة المكفرة:

مثل: بدعة الجاهلية التي نبه عليها القرآن في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُوا۟ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا﴾ [الأنعام:١٣٦].

وقوله سبحانه: ﴿وَقَالُوا۟ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ﴾ [الأنعام:١٣٩] فهؤلاء بتحريمهم ما أحل الله في كتابه قد جاءوا من البدع ما هو كفر صراح[1]، وكالزنادقة، واللا دينيين، والعلمانيين، والرافضة، والصوفية القبورية والخرافية، والقرآنيين الذين ينكرون

(١) مجلة البحوث الإسلامية، العدد الرابع عشر - الإصدار: من ذي القعدة إلى صفر لسنة (١٤٠٥هـ - ١٤٠٦هـ).



السنة كمصدر من مصادر التشريع.

وما أكثرها تلك الفرق التي تدعي الإسلام، والإسلام منها بريء؛ كالقاديانية، والبهائية، والدروز، والنصيرية، والبهرة، والحلولية، وسائر الطوائف الكافرة التي لا يمكننا أن ندعوها إلى جمع الصف ووحدة الكلمة لمحاربة الشيوعية والصهيونية مثلًا؛ لأن دعوى تقديم توحيد الكلمة على كلمة التوحيد مصادمة للحق من جهة، ولسنن الله في الحياة من جهة أخرى؛ وعليه فإن هذه الفرق ليست داخلة في الثنتين وسبعين فرقة، ومن قال: إن الثنتين وسبعين فرقة كل واحد منهم يكفر كفرًا ينقل عن الملة، فقد خالف الكتاب والسنة وإجماع الصحابة -رضوان الله عليهم أجمعين-، وإجماع الأئمة الأربعة.. وغير الأربعة، فليس فيهم من كفر كل واحد من الثنتين وسبعين فرقة، وإنما يكفر بعضهم بعضًا من تلك الفرق ببعض المقالات؛ ولهذا نجد أن من كفر الجهمية من السلف -مثل ابن المبارك ووكيع- أخرجوهم من الثنتين وسبعين فرقة، وألحقوهم بالسبئية والغرابية وأمثالها.

وفي المناهج الجامعية نجد أن كليات أصول الدين حاليًّا تميز بين الفرق الخارجة عن الإسلام، وبين الفرق الأخرى. فالأمر واضح لا لبس فيه.



(٢) البدعة المفسقة:

وهؤلاء كالمرجئة والخوارج.. وغيرهم، ومنها ما هو من المعاصي التي ليست بكفر عند بعض العلماء، كبدعة الخوارج حين قال بعض طوائفهم: «من حكم مخلوقًا فهو كافر».

(٣) البدعة التي في حكم الكراهة:

مثل ذكر السلاطين بأسمائهم في خطب الجمعة، والاجتماع للدعاء عشية عرفة، وهذا النوع لم يسلِّم به الإمام الشاطبي بل نفاه، وقال: «ليس من البدع ما هو مكروه».

بمعنى: أن من تركه يثاب ومن اقترفه لا إثم عليه، حيث قال: «وأما تعيين الكراهة التي معناها: نفي الإثم عن فاعلها وارتفاع الحرج ألبتة، فهذا مما لا يكاد يوجد عليه دليل من الشرع، ولا من كلام الأئمة على الخصوص، أما الشرع ففيه ما يدل على خلاف ذلك؛ لأن رسول الله ﷺ رد على من قال: «أما أنا فأقوم الليل ولا أنام»، وقال الآخر: «أما أنا فلا أنكح النساء».. إلى آخر ما قالوا، فرد عليهم ﷺ وقال: «**من رغب عن سنتي فليس مني**». وهذه العبارة أشد شيء في الإنكار، ولم يكن ما التزموا إلا فعل مندوب أو ترك مندوب إلى فعل مندوب آخر.



وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن كلام العلماء في إطلاق الكراهية في الأمور المنهي عنها: كالبدع لا يعنون به كراهية التنزيه فقط؛ لأن هذا اصطلاح المتأخرين، أرادوا به التفرقة بين ما هو مكروه كراهة تنزيه، وبين ما هو مكروه كراهية تحريم».

وقال: «إذا وجدت في كلامهم في البدعة أو غيرها: «أكره كذا»، و «لا أحب كذا»، و «هذا مكروه».. وما أشبه ذلك.. فلا تقطعنّ على أنهم يريدون التنزيه فقط، فإنه إذا دل الدليل في جميع البدع على أنها ضلالة، فمن أين يعد فيها ما هو مكروه كراهية تنزيه؟!».

❁ تقسيم آخر: من جهة درجة البدعة وأثرها:

وهنا نذكر تقسيم الإمام الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى للبدع من جهة درجتها وأثرها:

❁ (١) من جهة الإسرار والإعلان:

فظاهر أن المسر بها ضرره مقصور عليه لا يتعداه إلى غيره، فعلى أي صورة فرضت البدعة من كونها كبيرة أو صغيرة أو مكروهة، هي باقية على أصل حكمها، فإذا أعلن بها – وإن لم يدْعُ إليها – فإعلانه بها ذريعة إلى الاقتداء به.

(٢) من جهة الدعوة إليها وعدمها:

ظاهر أيضًا؛ لأن غير الداعي وإن كان عرضه بالاقتداء، فقد لا يقتدى به، ويختلف الناس في توافر دواعيهم على الاقتداء به؛ إذ قد يكون خامل الذكر، وقد يكون مشتهرًا ولا يقتدى به؛ لشهرة من هو أعظم من الناس منزلة منه، وإذا دعا إليها فمظنة الاقتداء أقوى وأظهر، ولا سيما المبتدع اللسن الفصيح الآخذ بمجامع القلوب، إذا أخذ في الترغيب والترهيب، وأدلى بشبهته التي تداخل القلب بزخرفها.

(٣) من جهة كون البدعة حقيقية أو إضافية:

إن الحقيقية أعظم وزرًا؛ لأنها التي باشرها المنتهي بغير واسطة، ولأنها مخالفة محضة، وخروج عن السنة ظاهرًا.

(٤) من جهة كونها ظاهرة المأخذ أو مشكلة:

لأن الظاهرة عند الإقدام عليها محض مخالفة، فإن كانت مشكلة فليست بمحض مخالفة؛ لإمكان ألا تكون بدعة، والإقدام على المحتمل، أخفض رتبة من الإقدام على الظاهر.

(٥) بحسب الإصرار عليها أو عدمه:

لأن الذنب قد يكون صغيرًا فيعظم بالإصرار عليه، كذلك البدعة تكون صغيرة فتعظم بالإصرار عليها، فإذا كانت فلتة فهي أهون منها

إذا داوم عليها، ويلحق بهذا المعنى إذا تهاون بها المبتدع وسهل أمرها، نظير الذنب إذا تهاون به، فالمتهاون أعظم وزرًا من غيره.

(٦) من جهة كونها كفرًا وعدمه:

ظاهر أيضًا؛ لأن ما هو كفر جزاؤه التخليد في العذاب -عافانا الله- فلا بدعة أعظم وزرًا من بدعة تخرج عن الإسلام ... والله المستعان بفضله»[١].

ترتيبًا على ما سلف من تقسيمات البدعة وتفاوت أصحابها، فإن أهم هذه الطوائف وأولاها وأجدرها بالاحتساب واجتماع المسلمين عليها هي الطوائف التي بدعتها مكفرة، وهي ما ينبغي أن تتجه معظم الجهود الرسمية والشعبية نحو تجفيف منابعها وإقصائها عن المجتمعات المسلمة.

والطوائف المشهورة بالدعوة إلى بدعتها مثل: القرآنيين، **ومثلهم**: العقلانيون دعاة إنكار السنة، تقدم على الطوائف التي ليس أصل دعوتها تلك البدع، فينبغي عند الاحتساب على هذه الطوائف البدعية أن نراعي هذه الأمور وتلك التقسيمات والتفاوتات.



(١) الاعتصام للإمام الشاطبي ص: ٢٢٤ بتصرف.



المبحث الرابع
تاريخ الاحتساب على الطوائف البدعية

أولًا: لمحات من احتساب السلف الصالح على المبتدعة:

هي كثيرة، نتخير منها ما يلي:

(١) احتساب الصحابة وعلى رأسهم الصديق أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على مانعي الزكاة، وقتاله إياهم:

حيث جعلت وفود العرب تقدم المدينة يقرون بالصلاة، ويمتنعون من أداء الزكاة، ومنهم: من امتنع من دفعها إلى الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وذكر أن منهم من احتج بقوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ [التوبة:١٠٣]، قالوا: «فلسنا ندفع زكاتنا إلا إلى من صلاته سكن لنا»، وأنشد بعضهم:

«أطعنا رسول الله إذ كان بيننا فوا عجبًا ما بال ملك أبي بكر».

وقد تكلم الصحابة مع الصديق في أن يتركهم وما هم عليه من منع الزكاة، ويتألفهم حتى يتمكن الإيمان في قلوبهم، ثم هم بعد ذلك يزكون، فامتنع الصديق من ذلك وأباه، وقد روى الجماعة

في كتبهم سوى ابن ماجه عن أبي هريرة أن عمر بن الخطاب قال لأبي بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَ: «علام تقاتل الناس؟! وقد قال رسول الله ﷺ: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله؛ فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها**»، فقال أبو بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: والله، لو منعوني عناقًا -وفي رواية: عقالًا- كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لأقاتلنهم على منعها، إن الزكاة حق المال، والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، قال عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: فما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ للقتال، فعرفت أنه الحق».

وهذا ثابت بأحاديث صحاح كما في حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: «لما توفي رسول الله ﷺ واستخلف أبو بكر بعده، وكفر من كفر من العرب، قال عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ لأبي بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فمن قال: لا إله إلا الله عصم مني ماله ونفسه، إلا بحقه وحسابه على الله** عَزَّوَجَلَّ؟» فقال أبو بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: والله، لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة؛ فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عناقًا كانوا يؤدونه إلى رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لقاتلتهم على منعه، فقال عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: فوالله، ما هو إلا أن رأيت الله عَزَّوَجَلَّ قد شرح صدر أبي بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ



للقتال، قال: فعرفت أنه الحق»[1].

والخلاف بعد القرون الثلاثة هل كان قتال أبي بكر والصحابة -رضوان الله عليهم- لمانعي الزكاة قتال ردة أم قتال بغاة؟ **قال شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وإنما اختلف الفقهاء في الطائفة الممتنعة إذا أصرت على ترك بعض السنن: كركعتى الفجر والأذان والإقامة عند من لا يقول بوجوبها.. ونحو ذلك من الشعائر، هل تقاتل الطائفة الممتنعة على تركها أم لا؟ فأما الواجبات والمحرمات المذكورة.. ونحوها فلا خلاف فى القتال عليها، وهؤلاء عند المحققين من العلماء ليسوا بمنزلة البغاة الخارجين على الإمام أو الخارجين عن طاعته؛ كأهل الشام مع أمير المؤمنين علي بن أبى طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ فإن أولئك خارجون عن طاعة إمام معين، أو خارجون عليه لإزالة ولايته، وأما المذكورون فهم خارجون عن الإسلام؛ بمنزلة مانعي الزكاة؛ وبمنزلة الخوارج الذين قاتلهم علي بن أبى طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ولهذا افترقت سيرة علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فى قتاله لأهل البصرة والشام، وفى قتاله لأهل النهروان، فكانت سيرته مع أهل البصرة والشاميين سيرة الأخ مع أخيه، ومع الخوارج بخلاف ذلك، وثبتت النصوصُ عن النبي ﷺ بما استقر عليه إجماع الصحابة من قتال الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وقتال علي

---

(١) رواه البخاري (٧٢٨٥)، ومسلم (٢٠).

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للخوارج، بخلاف الفتنة الواقعة مع أهل الشام والبصرة، فإن النصوص دلت فيها بما دلت، والصحابة والتابعون اختلفوا فيها. قال الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام: والمصدق لهذا جهاد أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالمهاجرين والأنصار على منع العرب الزكاة، كجهاد رسول الله ﷺ أهل الشرك سواء، لا فرق بينهما في سفك الدماء وسبي الذرية واغتنام المال، فإنما كانوا مانعين لها غير جاحدين بها»(١).

(٢) احتساب عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على صبيغ العسال:

في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في مصر ظهر رجل يُدعى «صبيغًا»(٢)، أعلن إسلامه، وبدأ يثير مسائل

(١) كتاب الإيمان له، (ص:١٢).

(٢) قال الحافظ ابن حجر في الإصابة في تمييز الصحابة، (٣/ ٤٥٨): «صبيغ: بوزن عظيم، وآخره معجمة، ابن عسل بمهملتين الأولى مكسورة والثانية ساكنة، ويقال بالتصغير ويقال: ابن سهل الحنظلي، له إدراك، وقصته مع عمر مشهورة روى الدارمي ..».
وأخرجه الخطيب وابن عساكر ... وروى إسماعيل القاضي في الأحكام ... وروى الدارمي في حديث نافع: أن أبا موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كتب إلى عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه صلح حاله فعفا عنه". وقال الدارقطني في الأفراد بعد رواية سعيد بن سلامة العطار، عن أبي بكر بن أبي سبرة، عن يحيى عن سعيد بن المسيب قال: جاء صبيغ التميمي إلى عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فسأله عن الذاريات الحديث.. وفيه فأمر به عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فضرب مائة سوط، فلما برئ دعاه فضربه مائة أخرى،=



في صميم القرآن والحديث، يريد أن يشتهر أمره ويعلو شأنه، ومن المسائل التي أثارها قوله: «أنتم تقولون: محمد أفضل من عيسى، ولذلك فإن محمدًا سيعود للدنيا مثل عيسى، والقرآن يؤيد ذلك في الآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ [القصص:٨٥]، فاحتار عمرو بن العاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وأرسل إلى عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يستفتيه، فقال له: أرسل لي هذا الأصيبيغ، وإياك أن يفلت، وعندما أحضره الجنود جمع عمرُ الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ في المسجد، ثم أدخله عليهم، وقال له: سمعنا يا صبيغ أنك تقول بكذا وكذا، فهل هذا صحيح؟ فقال صبيغ: نعم، فقال عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: وهل تسأل أيضًا عن مسائل أخرى؟، فقال: نعم، أسأل عن كذا وكذا، وأبحث عند أمير المؤمنين عن إجابات لأسئلتي؟،

= ثم حمله على قتب وكتب إلى أبي موسى رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: حرم على الناس مجالسته، فلم يزل كذلك حتى أتى أبا موسى فحلف له أنه لا يجد في نفسه شيئًا، فكتب إلى عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فكتب إليه خل بينه وبين الناس. غريب تفرد به ابن أبي سبرة، قلت: وهو ضعيف، والراوي عنه أضعف منه، ولكن أخرجه ابن الأنباري من وجه آخر عن يزيد بن خصيفة، عن السائب بن يزيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بسند صحيح. قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى أثناء تفسيره لصدر سورة الذاريات: (فإن قصة صبيغ بن عسل مشهورة مع عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ وإنما ضربه لأنه ظهر له من أمره فيما يسأل تعنتًا وعنادًا)، وذكر الحافظ ابن عساكر هذه القصة في ترجمة صبيغ مطولة، ذكر المحقق أن هذه الترجمة في تاريخ دمشق (٨/ ٢٣٠) القسم المخطوط.



فقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سأجيبك حالًا، ونادى الجلاد داخل المسجد، وقال له: يا جلاد، اجلد، فجلده الجلاد حتى أغمي عليه، فقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: طببوه، وبعد أن طُبب أحضره مرة أخرى، وقال: يا جلاد، اجلد، فجلده الجلاد حتى أغمي عليه، فقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: طببوه، وبعد أيام أحضره للمرة الثالثة، وقال: يا جلاد، اجلد، فجلد حتى غاب وعيه، فقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: طببوه، وفي المرة الرابعة قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يا جلاد، فقاطعه صبيغ: يا أمير المؤمنين، أقسم بالله، ألا أسأل عن هذه الأمور ما حييت، فأوقف عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الجلاد، وأمر بإرساله إلى الكوفة، فصاح صبيغ: أهلي ومالي!، فقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: اذهبوا به إلى الكوفة، فإن فيها أميرًا لا تقوم عنده فتنة إلا قطع رأسها، وتم إرساله إلى الكوفة وعاش الأصيبيغ هناك وحسن إسلامه، وبعد نهاية الخلافة الراشدة، وعندما ظهر المعتزله وأهل الكلام بعد ذلك قالوا بمثل ماقال به صبيغ، فذهب إليه بعض الناس وكان شيخًا كبيرًا، فقالوا له: قد ظهر رجال يقولون بقولك يا أصيبيغ، فلم لا تكون معهم؟ فتحسس صبيغ ظهره وقال: لا والله، فقد علمني الرجل الصالح».

فهذا الذي قام به عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ليس إلا من باب حماية العقائد من هذه البدع والشبهات، ولا شك أن محاصرة البدعة في طور الفردية يمنع من وصولها إلى طور الطائفية.



قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ **تعالى في الفتاوى**: «وقصة صبيغ بن عسال مع عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ من أشهر القضايا، فإنه بلغه أنه يسأل عن متشابه القرآن، حتى رآه عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فسأل عمر عن ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ۝١﴾، فقال: ما اسمك؟، قال: عبد الله صبيغ، فقال: وأنا عبد الله عمر، وضربه الضرب الشديد، وكان ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا إذا ألح عليه رجل فى مسألة من هذا الجنس يقول: ما أحوجك أن يُصنع بك كما صنع عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بصبيغ؛ وهذا لأنهم رأوا أن غرض السائل ابتغاء الفتنة، لا الاسترشاد والاستفهام ... ومما يبين الفرق بين المعنى والتأويل: أن صبيغًا سأل عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن الذاريات، وليست من الصفات، وقد تكلم الصحابة فى تفسيرها مثل: علي بن أبى طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مع ابن الكواء، لما سأله عنها كره سؤاله لما رآه من قصده، لكن علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ كانت رعيته ملتوية عليه، ولم يكن مطاعًا فيهم طاعة عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ حتى يؤدبه»[(١)].

يقول سيد قطب رَحِمَهُ ٱللَّهُ **تعالى**: «إننا لا نستحضر أمامنا انحرافًا معينًا من انحرافات الفكر الإسلامي، أو الواقع الإسلامي، ثم ندعه يستغرق اهتمامنا كله؛ بحيث يصبح الرد عليه وتصحيحه هو المحرك الكلي لنا فيما نبذله من جهد في تقرير خصائص

---

(١) مجموع الفتاوى (١٣/ ٣١١) و (٢٨/ ١٠٩).



التصور الإسلامي ومقولاته، إنما نحاول تقرير حقائق هذا التصور -في ذاتها- كما جاء الوحي؛ ذلك أن استحضار انحراف معين، أو نقص معين، والاستغراق في دفعه، وصياغة حقائق التصور الإسلامي للرد عليه، منهج شديد الخطر، وله معقباته، في إنشاء انحراف جديد في التصور الإسلامي لدفع انحراف قديم، والانحراف انحراف على كل حال»(١).

❁ هذا ومن فوائد احتساب عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على صبيغ ما يلي:

(أ) حسم الفاروق عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بدعة ذلك الرجل بالدرة عوضًا عن جدله ومحاججته، ولقد كان صبيغ إلى شجة أحوج منه إلى حُجة، وتلك هي الحكمة، وفي هذا بيان لمشروعية تعزير المبتدع بما يناسب، «وأما التعزير فعلى قدر أحوال الناس وقدر الجناية؛ فمن الناس من يكون تعزيره بالقول والتوبيخ، ومنهم من يضرب بالسوط ولا يبلغ به أدنى الحدود، ومنهم من يضرب بالدرة ويلبس الطرطور ويركب على جمل أو حمار»(٢).

(ب) الاحتساب على المبتدعة في طور الفردية قد يكون سببًا لعدم انتقال البدعة إلى طور الظاهرة والطائفية، والأمثلة على ذلك كثيرة في تاريخ الاحتساب على المبتدعة.

---

(١) خصائص التصور الإسلامي، (ص:١٩).

(٢) نهاية الرتبة الظريفة في طلب الحسبة الشريفة، (ص:١٠٦).



(٣) احتساب علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ على السبئية والخوارج:

لقد كانت فترة خلافة علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بداية لمنعطف خطير في تاريخ الإسلام؛ إذ شهدت ظهور فرقتي الخوارج والشيعة بأفكارهما المنحرفة، التي ظلت آثارها السلبية ممتدة إلى اليوم، وقد عانى المسلمون من تلك الأفكار ما عانوا؛ لأن ولاة أمورهم على مر القرون السالفة لم يحسنوا التصرف مع الأسباب التي هيئت لوجود هؤلاء على الساحة، فيتلافوا خطر انتشارها، كما أنهم في أوقات كثيرة لم يحسنوا التصرف مع مثل هؤلاء كما تصرف معهم علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «سيهلك فيَّ صنفان؛ محب مفْرط يذهب به الحب إلى غير الحق، ومبغض مفرط يذهب به البغض إلى غير الحق، وخير الناس فِيَّ حالًا؛ النمط الأوسط، فالْزموه والْزموا السواد الأَعظم؛ فإن يد الله على الجماعة»[(١)].

» **وهكذا شاء الله أن ينقسم الناس في علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ إلى ثلاثة أقسام:**

القسم الأول: مبغض، وهؤلاء هم الذين تكلموا فيه، بل غالى بعضهم فقالوا بكفره: كالخوارج.

(١) نهج البلاغة: الخطبة (١٢٥)، (٢٣٧).



القسم الثاني: أفرط في حبه وذهب به الإفراط إلى الغلو حتى جعلوه بمنزلة النبي ﷺ، بل ازدادوا في غيهم فقالوا بألوهيته.

القسم الثالث: وهم السواد الأعظم، فهم أهل السنة والجماعة من السلف الصالح حتى الوقت الحاضر، فهم الذين أحبوا عليًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وآل بيته المحبة الشرعية، أحبوهم لمكانتهم من النبي ﷺ.

ولقد جابه علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ القسم الأول لما رجع من الشام بعد وقعة صفين، وذهب إلى الكوفة، فلما دخلها اعتزله طائفة من جيشه، قيل: ستة عشر ألفًا. وقيل: اثنا عشر ألفًا. وقيل: أقل من ذلك. فباينوه، وخرجوا عليه، وأنكروا عليه أشياء، فبعث إليهم عبدالله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فناظرهم فيها ورد عليهم ما توهموه من الشبهة، ولم يكن له حقيقة في نفس الأمر، فرجع بعضهم، واستمر بعضهم على ضلاله، قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «لَمَّا خرجت الحَرُوريَّة، اعتزَلُوا في دارٍ على حدتهم، وكانوا ستَّة آلاف، فقلت لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يا أمير المؤمنين، أبرِد بالصلاة، لعلِّي أكلِّم هؤلاء القوم، قال: إني أخافهم عليك، قلت: كلا، إن شاء الله، فلَبِستُ أحسنَ ما يكون من حُلَل اليمن، وترجَّلتُ، ودخلت عليهم في دارٍ نصف النهار وهم يأكُلون - هكذا في مُعظَم الروايات، وفيه رواية: وهم قائلون - في نحر الظهيرة. فقالوا: مرحبًا بك يا ابن عباس، فما هذه الحُلَّة؟ قلت: ما تَعِيبون عليَّ؟ لقد رأيت على رسول الله ﷺ أحسنَ



ما يكون من الحُلَل، ونزلت: ﴿قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ﴾ [سورة الأعراف: ٣٢].، قالوا: فما جاء بك؟، قلت لهم: أتيتُكم من عند أصحاب النبي ﷺ المهاجرين والأنصار، ومن عند ابن عم النبي ﷺ وصهره، وعليهم نزل القرآن، فهم أعلم بتأوِيله منكم، وليس فيكم منهم أحدٌ؛ لأبلغكم ما يقولون، وأبلغهم ما تقولون، فقال بعضهم: لا تُخاصِموا قريشًا؛ فإن الله يقول: ﴿بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ ٥٨﴾ [سورة الزخرف: ٥٨].، قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا: وما أتيت قومًا قطُّ أشد اجتهادًا منهم، مُسهِمة وجوههم من السهر، كأن أيديهم وركبهم تثنى عليهم، فمضى مَن حضر، فقال بعضهم: لنُكَلِّمنَّه ولننظرنَّ ما يقول، قلت: هاتوا ما نقمتم على أصحاب رسول الله ﷺ، وابن عمِّه، قالوا: ثلاث، قلت: ما هن؟ قالوا: أمَّا إحداهن: فإنه حكَّم الرجال في أمر الله، وقال الله: ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [سورة الأنعام: ٥٧].، ما شأن الرجال والحكم؟!، قلت: هذه واحدة، قالوا: وأمَّا الثانية: فإنه قاتَل ولم يَسْبِ ولم يغنم، إن كانوا كفَّارًا لقد حلَّ سبيهم، ولئن كانوا مؤمنين ما حلَّ سبيهم ولا قتالهم، قلت: هذه ثِنتان، فما الثالثة؟ قالوا: ومحا نفسه من أمير المؤمنين، فإن لم يكن أميرَ المؤمنين فهو أمير الكافرين، قلت: هل عندكم شيء غير هذا؟ قالوا: حسبنا هذا، قلت لهم: أرأيتكم إن قرأت عليكم من كتاب الله جلَّ ثناؤه وسنَّة نبيِّه ﷺ ما يردُّ قولكم، أترجعون؟ قالوا: نعم، قلت: أمَّا قولكم: حكَّم الرجال في أمر الله، فإني أقرأ عليكم في



كتاب الله أن قد صيَّر حكمه إلى الرجال في ثمن ربع درهم؛ فأمر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن يحكموا فيه، أرأيت قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ﴾ [سورة المائدة: ٩٥].، وكان من حُكْمِ الله أنَّه صيَّره إلى الرجال يَحكُمون فيه، ولو شاء حكَم فيه، فجاز من حكم الرجال، أنشدكم بالله: أحُكم الرجال في صَلاح ذات البين وحقن دمائهم أفضل، أو في أرنب؟! قالوا: بلى؛ بل هذا أفضل، وقال في المرأة وزوجها: ﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ شِقَاقَ بَيۡنِهِمَا فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ﴾ [سورة النساء: ٣٥].، فنشدتكم بالله حكم الرجال في صلاح ذات بينهم وحقن دمائهم أفضل من حكمهم في بضع امرأة؟! قالوا: اللهم بل في حقن دمائهم وإصلاح ذات بينهم! خرجتُ من هذه؟، قالوا: نعم، قلت: وأمَّا قولكم: قاتَل ولم يَسْبِ ولم يَغْنَم، أفتَسْبُون أمَّكم عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهَا؟!! تستحِلُّون منها ما تستَحِلُّون من غيرها، وهي أمُّكم؟ فإن قلتم: إنَّا نستَحِلُّ منها ما نستَحِلُّ من غيرها فقد كفرتم، وإن قلتم: ليست بأمِّنا فقد كفرتم؛ ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡ﴾ [سورة الأحزاب: ٦].، فأنتم بين ضلالتين فأتوا منها بمخرج؟ فنظر بعضهم إلى بعض، أفخرجتُ من هذه؟ قالوا: نعم، وأمَّا قولكم: محا نفسَه من أمير المؤمنين، فأنا آتيكم بما ترضون، قد سمعتم أن نبي الله ﷺ يوم الحديبية صالَح المشركين، فقال



لعلي: «اكتب يا علي: هذا ما صالَح عليه محمد رسول الله، قالوا: لو نعلم أنك رسول الله ما قاتَلناك، فقال رسول الله ﷺ: امحُ يا علي، اللهمَّ إنك تعلم أني رسول الله، امحُ يا علي، واكتب: هذا ما صالح عليه محمد بن عبدالله، فوالله لَرسُولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خيرٌ من علي، وما أخرَجَه من النبوَّة حين محا نفسه، أخرجت من هذه؟ قالوا: نعم، فرجع منهم ألفان، وخرج سائِرُهم فقُتِلُوا على ضلالتهم، قتَلَهم المهاجرون والأنصار»[1].

(١) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (١٠/ ١٥٠)، تحت رقم: (١٨٦٧٨)، والنسائي، في السنن الكبرى، كتاب الخصائص، باب ذكر مناظرة عبد الله بن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا الحرورية، واحتجاجه فيما أنكروه على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، (٧/ ٤٧٩، حديث رقم: (٨٥٢٢)، والطبراني (١٠/ ٢٥٧)، تحت رقم: (١٠٥٩٨)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٩٤)، تحت رقم: (٢٧٠٣)، علوش، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٣١٩)، والبيهقي (٨/ ١٧٩)، وأخرج قطعة منه (قصة الحديبية) أحمد في المسند - الرسالة (٥/ ٢٦٢)، تحت رقم: (٣١٨٧). والحديث صححه الحاكم، وقال: "صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه" ا.هـ، وقال الذهبي قي التلخيص: "على شرط مسلم"، وحسن إسناد أحمد محققو المسند. تنبيهان:
الأول: رواية الطبراني من طريقين: أحدهما: عن عبد الرزاق، والآخر: عن موسى بن مسعود، ورواية أبي نعيم من طريق عبد الرزاق. ورواية البيهقي من طريق الحاكم، وهو من طريق عمر بن يونس، ورواية أحمد والنسائي عن ابن مهدي كلهم من طريق عكرمة بن عمار به. =



ثم إنهم عادوا فنكثوا ما عاهدوا عليه، وتعاقدوا وتعاهدوا فيما بينهم على القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والقيام على الناس في ذلك، ثم تحيزوا ناحية إلى موضع يقال له: النهروان. فقاتلهم بعد أن ناظرهم، وأخباره معهم معروفة مسرودة في كتب التاريخ.

❁ من فوائد تلك المناظرات في معرض الاحتساب على أهل البدع:

١) إيضاح ومناقشة الداعية لشُبَه المُخالِفين، مهما رآها ضعيفة، وإن كانوا من أهل البِدَع أو الكفر، وعدم الاكتِفاء بالاستِخفاف بها وازدِراء أصحابها؛ بل الواجب مُناقَشة كلِّ مَن ضلَّ عن الحقِّ وإن تهافَتَتْ شُبهاته؛ لأن تَوضِيحها بالحكمة واللين مَظِنَّة رُجُوع أصحابها عنها، وترْك ذلك مَظِنَّة تَمَسُّك أصحابها بها. وابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لم يَتعالَ عن مُناقَشة عقولٍ بهذه البَلادَة، وشبهات بهذه السَّذاجَة، وهذا هو واجب الدُّعاة إلى الله في كلِّ زمان.

= الثاني: وقع في رواية عبد الرزاق في آخر الحديث: "فَرَجَعَ مِنْهُمْ عِشْرُونَ أَلْفًا، وَبَقِيَ مِنْهُمْ أَرْبَعَةُ آلافٍ، فَقُتِلُوا"، وهي من طريق إسحاق الدّبري، كما صرح به في رواية الطبراني، وأبي نعيم، وهي مخالفة لرواية الحاكم؛ فإن فيها: "فرجع من القوم ألفان وقتل سائرهم على ضلالة"، وذكر في أولها: "وهم ستة آلاف". والذي عند الحاكم أقرب؛ فإن رواية عبد الرزاق من طريق الدبري، وفي روايته عن عبد الرزاق أوهام، وموسى بن مسعود صدوق سيئ الحفظ، والظاهر أن الطبراني ساقه برواية عبد الرزاق.



٢) تنوُّع أحوال أهل البِدَع، فمنهم مَن هو صادِق في مَوقِفه وإن أخطَأَه، ومنهم مَن هو مُتَّبِع لهواه، كما انقَسَم الخوارج هنا فريقَيْن: أحدهما: رجع إلى الحقِّ والجماعة، والآخَر: أبى إلا القتلَ على البدعة.

أما احتسابه على السبئية؛ فإنه لما أعلن ابن سبأ إسلامه وأخذ يظهر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويكسب قلوب فريق من الناس إليه، أخذ يتقرب من علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ويظهر محبته له، فلما اطمأن لذلك أخذ يكذب ويفتري على عليّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نفسه، قال عامر الشعبي -وهو أحد كبار التابعين-: «أول من كذب عبد الله بن سبأ، وكان ابن السوداء يكذب على الله ورسوله، وكان عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: مالي ولهذا الحميت الأسود! والحميت: هو المتين من كل شيء، يعني: ابن سبأ، وكان يقع في أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا».

وروى ابن عساكر أيضًا: «إنه لما بلغ علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن ابن السوداء ينتقص أبابكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا دعا به، ودعا بالسيف وهمّ بقتله، فشفع فيه أناس، فقال: والله، لا يُساكنني في بلد أنا فيه، فسيره إلى المدائن».

هذا موقف الإمام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في ابن سبأ وأتباعه، نفاه إلى المدائن وأحرق طائفة من أتباعه.

المحتسب للاستشارات

(٤) احتساب العلماء والأمراء على الجهمية:

احتساب العلماء والأمراء على الجهمية، حتى كان قتل الجعد بن درهم، والجهم بن صفوان، كان ظهور الجهمية في أواخر عصر التابعين، بعد موت عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة (١٠١هـ). وقد تولى كبر نشر المذهب الجهمي في الأمة جماعة مخذولون، رتبهم الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله: «أخذ عن الجعد: الجهم بن صفوان الخزري - وقيل الترمذي -، وأخذ بشر المريسي عن الجهم، وأخذ أحمد بن أبي دؤاد عن البشر».

وقد اشتغل الجعد بن درهم بدمشق في تعليم الصبيان في المكاتب وترقى به الحال حتى أصبح مؤدب مروان بن محمد بن مروان بن الحكم، وذلك سنة (٧٥هـ) تقريبًا، ومروان هذا هو مروان الحمار آخر خلفاء بني أمية؛ لذلك عرف باسم مروان الجعدي نسبة إلى مؤدبه وشيخه الجعد بن درهم إمام التعطيل، وكما يقول ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كان انقراض دولة بني أمية بسبب هذا الجعد المعطل.. وغيره من الأسباب التي أوجبت إدبارها»[١].

ويقول أيضًا عن مقالة الجعد في التعطيل: «أصل المقالة إنما مأخوذة عن تلامذة اليهود والمشركين وضلال الصابئين، فإن أول

(١) الفتاوى (١٣/ ١٨٢).



من حفظ عنه أنه قال هذه المقالة في الإسلام هو الجعد بن درهم، وأخذها عنه الجهم بن صفوان وأظهرها، فنسبت مقالة الجهمية إليه»[1].

ظل الجعد بن درهم مقيمًا بدمشق حتى أظهر بدعته الخبيثة بين الناس، وعرفوا حقيقة ضلاله، فتطلبه بنو أمية الحكام، فهرب منهم وسكن بالكوفة، فلقيه فيها الجهم بن صفوان فتقلد منه بدعته، وبدأ الجعد يدعو لبدعته بالكوفة، وكان على العراق وال قوي وشديد على المبتدعين والضالين، وهو الوالي خالد بن عبد الله القسري حاكم العراق القوي، والذي قتل من قبل عدة زنادقة ومدعين للنبوة، منهم: المغيرة بن سعيد العجلي، وبيان بن سمعان النهدي أستاذ الجعد بن درهم، فعندما وصلت أخبار الجعد بن درهم إلى خالد، أخذه وناظره مع أهل العلم من التابعين، وألزموه بطلان بدعته، ولكنه أصر عليها ولم يرجع عنها، واستتابه مدة ثلاثة أيام وهو مصرٌّ على بدعته وكفره، وفي يوم (١٠) ذي الحجة سنة (١٢٤هـ) اصطحبه خالد القسري إلى مدينته واسط، وقام يخطب العيد على المنبر والجعد مكبل بقيوده أسفل المنبر، ثم قال خالد للناس: «أيها الناس، ضحوا يقبل الله ضحاياكم، فإني مضح بالجعد بن درهم، إنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلًا، ولم يكلم موسى

---

(١) الفتاوى (٥/ ٢٠).



تكليمًا، تعالى الله عما يقول الجعد علوًا كبيرًا، ثم نزل، وقال له: يا جعد، ارجع عن مقالتك، فقال الجعد: والله، لا أرجع عنها أبدًا، فأخذه خالد، وذبحه في أصل المنبر»[1].

وفي ذلك يقول ابن القيم في نونيته الشهيرة عن المعطلة:

ولِأَجلِ ذا ضَحَّى بِجَعدٍ خالِدُ القَسرِيُّ يَومَ ذَبائِح القُربانِ

إذ قالَ إبراهيمُ ليس خَليلَهُ كلا وَلا مُوسى الكليمُ الدَّاني

شَكَرَ الضَّحِيَّةَ كُلُّ صاحِبِ سُنَّةٍ لله درُّكَ من أخي قُربانِ

وكان من آثار بدعة الجهمية القول ببدعة خلق القرآن؛ التي احتسب على ردها ووأدها فئام من خيار الأمة؛ على رأسهم إمام أهل السنة والجماعة؛ الإمام أحمد بن حنبل؛ الذي جهر بإنكار تلك البدعة اللعينة حتى لبث في السجن سنين عددًا، بل منهم من جاد بروحه، منهم أحمد بن نصر الخزاعي من أهل العلم والديانة والعمل الصالح والاجتهاد في الخير، وكان من أئمة السنة الآمرين

---

(١) عن السري بن يحيى قال: «خطبنا خالد القسرى، وقال: «انصرفوا إلى ضحاياكم تقبل الله منكم، فإني مضح بالجعد"، وذكر القصة.. قال الشيخ الألباني: "قال المصنف: قرأت في كتاب: "الرد على الجهمية" لعبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي صاحب التصانيف: حدثنا عيسى بن أبى عمران الرملي، حدثنا أيوب بن سويد، عن السري بن يحيى... قلت: وهذا إسناد رجاله موثقون، غير عيسي هذا.



بالمعروف والناهين عن المنكر، وكان ممن يدعو إلى القول بأن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق، وكان الواثق من أشد الناس في القول بخلق القرآن، يدعو إليه ليلًا ونهارًا، سرًّا وجهارًا، اعتمادًا على ما كان عليه أبوه قبله وعمه المأمون، من غير دليل، ولا برهان، ولا حجة، ولا بيان، ولا سنة، ولا قرآن، فقام أحمد بن نصر يدعو إلى الله وإلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والقول بأن القرآن كلام الله غير مخلوق، في أشياء كثيرة دعا الناس إليها، فاجتمع عليه جماعة من أهل بغداد، والتف عليه الألوف، وانتصب للدعوة إلى أحمد بن نصر هذا رجلان، وهما: أبو هارون السراج يدعو أهل الجانب الشرقي، وآخر يقال له: طالب يدعو أهل الجانب الغربي، فاجتمع عليه من الخلائق ألوف كثيرة وجماعات غزيرة، فجمع جماعة من رؤوس أصحاب أحمد بن نصر معه، وأرسل بهم إلى الخليفة بسر من رأى، وذلك في آخر شعبان، فأحضر لدى الواثق، ولم يظهر منه على أحمد بن نصر عتب، وحضر القاضي أحمد بن أبي دؤاد المعتزلي، فلما أوقف أحمد بن نصر بين يدي الواثق لم يعاتبه على شيء مما كان منه في مبايعته العوام على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.. وغيره، بل أعرض عن ذلك كله، وقال له: «ما تقول في القرآن؟ فقال: هو كلام الله، قال: أمخلوق هو؟ قال: هو كلام الله – وكان أحمد قد استقتل وباع نفسه، وحضر وقد تحنط وتنور

وشد على عورته ما يسترها -، فقال له: ما تقول في ربك، أتراه يوم القيامة؟ فقال: يا أمير المؤمنين، قد جاء في القرآن والأخبار بذلك، قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [سورة القيامة: ٢٢-٢٣].، وقال رسول الله ﷺ: «إنكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر، لا تضامون في رؤيته»[1]، فنحن على الخبر». زاد الخطيب: قال الواثق: «ويحك! أيُرى كما يرى المحدود المتجسم؟! ويحويه مكان؟! ويحصره الناظر؟! أنا أكفر بربٍّ هذه صفته»، قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وما قاله الواثق لا يجوز، ولا يلزم، ولا يرد به هذا الخبر الصحيح»، ثم قال أحمد بن نصر للواثق: «وحدثني سفيان بحديث يرفعه: «**إن قلب ابن آدم بين إصبعين من أصابع الله، يقلبه كيف شاء**». وكان النبي ﷺ يقول: «**يا مقلب القلوب، ثبت قلبي على دينك**»، قال له إسحاق بن إبراهيم: ويحك! انظر ما تقول!، فقال: أنت أمرتني بذلك، فأشفق إسحاق من ذلك، وقال: أنا أمرتك؟!، قال: نعم، أنت أمرتني أن أنصح له، فقال الواثق لمن حوله: ما تقولون في هذا الرجل؟ فأكثروا القول فيه، فقال عبد الرحمن بن إسحاق - وكان قاضيًا على الجانب الغربي فعزل، وكان موادًّا لأحمد بن نصر قبل ذلك-: يا أمير المؤمنين، هو حلال الدم، وقال أبو عبد الله الأرمني -صاحب ابن أبي دؤاد-: اسقني من دمه

---

(١) متفق عليه.



يا أمير المؤمنين، فقال الواثق: لا بد أن يأتي ما تريد، وقال ابن أبي دؤاد: هو كافر يستتاب، لعل به عاهة أو نقص عقل، فقال الواثق: إذا رأيتموني قمت إليه فلا يقومن أحد معي؛ فإني أحتسب خطاي، ثم نهض بالصمصامة -وقد كانت سيفًا لعمرو بن معد يكرب الزبيدي، أهديت لموسى الهادي في أيام خلافته، وكانت صحيفة مسحورة، في أسفلها مسمورة بمسامير - فلما انتهى إليه ضربه بها ضربة على عاتقه وهو مربوط بحبل، قد أوقف على نطع، ثم ضربه أخرى على رأسه، ثم طعنه بالصمصامة في بطنه، فسقط صريعًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ على النطع ميتًا، ثم انتضى سيما الدمشقي سيفه فضرب عنقه، وحز رأسه، وحمل معترضًا حتى أتى به الحظيرة التي فيها بابك الخرمي، فصلب فيها، وفي رجليه زوج قيود وعليه سراويل وقميص، وحمل رأسه إلى بغداد فنصب في الجانب الشرقي أيامًا، وفي الغربي أيامًا. ثم أمر الواثق بتتبع رءوس أصحابه فأخذ منهم نحوًا من تسع وعشرين رجلًا، فأُودعوا في السجون وسُموا الظلمة، ومُنعوا أن يزورهم أحد، وقُيدوا بالحديد، ولم يجر عليهم شيء من الأرزاق التي كانت تجري على المحبوسين، وهذا ظلم عظيم، وقد كان أحمد بن نصر هذا من أكابر العلماء العاملين القائمين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وذكره يحيى بن معين رَحِمَهُ ٱللَّهُ يومًا فترحم عليه، وقال: ختم الله له بالشهادة، وكان لا يحدث ويقول:

إني لست أهلا لذلك، وأحسن يحيى بن معين رَحِمَهُ ٱللَّهُ الثناء عليه جدًا، وذكره الإمام أحمد بن حنبل يومًا فقال: رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما كان أسخاه بنفسه لله! لقد جاد بنفسه له»[1].

(٥) الاحتساب على الباطنية الصوفية، وأرباب القول بوحدة الوجود، وقتل الحلاج على ذلك:

يمكن تصنيف الصوفية إلى قسمين:

الأول: غلاة الصوفية، وهؤلاء أهل وحدة الوجود والحلول والاتحاد، وهؤلاء كفار لا حظ لهم في الإسلام.

الثاني: أهل أهواء وبدع، وهذا ما يغلب على عوامهم.

أما شركيات الصوفية، فحدث ولا حرج! كالطواف بالقبور، وشد الرحال لأوليائهم، والذبح والاستغاثة، وطلب الشفاعة والدعاء والتوسل بالموتى... إلخ.

وأما بدعهم التي تخالف السنة، فهي أكثر من أن تُحصى، كمصطلحات الاصطلام، والسكر، والفناء، وكالخرقة، والذكر الجماعي على آلات المعازف.

(١) البداية والنهاية (١٠/ ٣١٦-٣٢٠) بتصرف، قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في أحداث سنة إحدى وثلاثين ومائتين: "وكان فيها مقتل أحمد بن نصر الخزاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وأكرم مثواه-".



وأهم شخصيات الصوفية التاريخية: الحلاج، وابن عربي.

أما «الحلاج»: فهو الحسين بن منصور بن محمي، من أئمة الزنادقة والمرتدين، **من أقواله الكفرية:**

مُزجت روحي في روحك كما تُمزجُ الخمرة بالماء الزلال
فإذا مسّك شيءٌ مسّني فإذا أنت أنا في كلّ حال[1]

وقد أقيمت عليه البينة الشرعية، وقتل مرتدًّا سنة (٣١١هـ)، بعد أن صلب ببغداد، ونودي عليه: «هذا أحد دعاة القرامطة، فاعرفوه، فقتل شر قتلة»[2].

قال الفقيه أبو علي البنا: «كان الحلاج قد ادعى أنه إله، وأنه يقول بحلول اللاهوت في الناسوت.. وكان يقول للواحد من أصحابه: أنت نوح، ولآخر: أنت موسى، ولآخر: أنت محمد!، وقال الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الحلاج المقتول على الزندقة، ما روى ولله الحمد شيئًا من العلم، وكانت له بداية جيدة، وتأله وتصوف، ثم انسلخ من الدين، وتعلم السحر، وأراهم المخاريق. أباح العلماء دمه، فقتل»[3].

---

(١) انظر: (ديوان الحلاج) (ص:٨٢).
(٢) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٢٧).
(٣) انظر: ميزان الاعتدال (٢/ ٧١).

وقال محمد بن يحيى الرازي: «سمعت عمرو بن عثمان يلعن الحلاج، ويقول: لو قدرت عليه لقتلته بيدي، فقلت: أيش وجد الشيخ عليه؟ قال: قرأت آية من كتاب الله، فقال: يُمكنني أن أؤلف مثله»[1].

قال أبو عمر بن حيوية: «لما أخرج الحلاج ليُقتل، مضيتُ وزاحمتُ حتى رأيته، فقال لأصحابه: لا يهولنكم، فإني عائد إليكم بعد ثلاثين يومًا! قال الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فهذه حكاية صحيحة، توضح لك أن الحلاج ممخرق كذّاب، حتى عند قتله»[2].

أما «ابن عربي» فهو: محمد بن علي بن محمد بن عربي الطائي، الشهير بمحيي الدين ابن عربي، نكرة في الاسم (بدون ألف ولام)، وهو كذلك نكرة عند أهل العلم، وقد هلك سنة (٦٣٨هـ)، قال سلطان العلماء العز ابن عبد السلام السلمي المتوفى سنة (٦٦٠هـ): «هو شيخ سوء كذاب، فقال له ابن دقيق العيد: وكذّاب أيضًا؟! قال: نعم؛ تذاكرنا بدمشق التزويج بالجن، فقال: هذا محال؛ لأن الإنس جسم كثيف والجن روح لطيف، ولن يعلق الجسم الكثيف الروح اللطيف، ثم بعد قليل رأيته وبه

(١) انظر: (سير أعلام النبلاء) (١٤/ ٣٣٠).

(٢) انظر: (المرجع السابق) (١٤/ ٣٤٦).



شجة، فقال: تزوجتُ جنية، فرزقت منها ثلاثة أولاد، فاتفق يومًا أني أغضبتها فضربتني بعظم حصلت منه هذه الشجة، وانصرفت فلم أرها بعد هذا»[1].

وقال المفسر أبو حيان الأندلسي عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ﴾ [سورة المائدة: ١٧].: ومن بعض اعتقاد النصارى استنبط من أقر بالإسلام ظاهرًا، وانتمى إلى الصوفية حلول الله في الصور الجميلة، ومن ذهب من ملاحدتهم إلى القول بالاتحاد والوحدة: كالحلاج، والشعوذي، وابن أحلى، وابن عربي المقيم في دمشق. وقال الفقيه تقي الدين السبكي: ومن كان من هؤلاء الصوفية المتأخرين كابن عربي.. وغيره فهم ضلال جهال خارجون عن طريقة الإسلام فضلًا عن العلماء!، وقال ابن المقري في روضه: إن الشك في كفر طائفة ابن عربي كفر»[2].

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن هؤلاء من يقول بالحلول والاتحاد، وهم في الحلول والاتحاد نوعان: نوع يقول بالحلول

---

(١) (ميزان الاعتدال (٥/ ١٠٥).

(٢) مغني المحتاج، للشربيني (٣/ ٦١).

والاتحاد العام المطلق؛ كابن عربي وأمثاله، ويقولون في النبوة: إن الولاية أعظم منها، كما قال ابن عربي»[1].

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد كنت سألت شيخنا سراج الدين البلقيني عن ابن عربي؟ فبادر بالجواب بأنه: كافر»[2].

وقال الإمام الذهبي عن كتاب الفصوص لابن عربي: «ومن أردأ تواليفه كتاب الفصوص، فإن كان لا كفر فيه فما في الدنيا كفر!»[3].

ثانيًا: الاحتساب على الطوائف البدعية في العصر الحاضر:

الفرق بين الاحتساب الذي كان في الصدر الأول، والاحتساب في العصر الحاضر؛ أن المحتسب في الصدر الأول كان هو الإمامَ نفسَه، كما في قصة أبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مع المرتدين، وعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مع صبيغ العسال، وعلي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مع الخوارج والسبئية، فلما افترق السلطان المحتسب عن العالم المحتسب حصل الفصام وكانت الفتنة، كما في عهد الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى حين تغلبت الطوائف البدعية على السلطان، حتى أصبح يسير بتوجيههم وينفذ

(١) منهاج السنة، (٥/ ٣٣٥).

(٢) لسان الميزان، (٤/ ٣١٨).

(٣) سير أعلام النبلاء، (٢٣/ ٤٨).

رغباتهم! وكانت الفتنة للعلماء حين افترق السلطان عنهم، وهذا يعني: أنه عندما لا يكون السلطان على السنة، ويناصر أهل البدعة فإن المسئولية على العلماء تصبح أعسر وأصعب، لكنها آكد وألزم، وذلك بأن يقوموا بواجبهم في الاحتساب على الطوائف البدعية، وهذا من العهد والميثاق الذي أخذه الله على العلماء كما قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [سورة آل عمران: ١٨٧]..

وفي عصرنا الحاضر نماذج مشرقة في الاحتساب على أهل البدع أفرادًا أو طوائف، وتحذير المسلمين من خداع أرباب الضلالات، التي منها: الفرق الباطنية: كالإسماعيلية، أو النصيرية.. وغيرها، وكغلاة الشيعة الرافضة، أو الصوفية، أو الفرق التي أسسها اليهود والنصارى للطعن في الدين باسم الإسلام، مثل: البابية، والبهائية، والقاديانية، واللا دينية، المسماة زورًا بالعلمانية.

۞ وهذه لمحة عن بعض جهود الاحتساب في العصر الحديث:

(١) احتساب العلماء على العلمانيين ودعاة القوانين الوضعية، مما كان له الأثر الكبير في الحد من انتشار هذه الفتنة.

لقد عاش هؤلاء العلماء في فترة اتسمت بكثرة الأحداث وتواليها، والدول الإسلامية تئن تحت نير الاستعمار الإنجليزي



والفرنسي، وخور المسلمين وعجز معظم العلماء عن القيام بواجبهم، بل كانوا يشعرون بالانهزامية والصغار أمام هجمات الصليبيين وتلامذتهم من المستشرقين الفكرية وطعنهم فى هذا الدين، والتركيز على مصر المركز العلمي للعالم الإسلامي، واليهود يخططون لاحتلال فلسطين، وأحكام الشريعة الإسلامية أقصيت عن حياة الناس، بفعل الفساد والتخطيط الصليبي الماكر ضد هذه الأمة، حتى صار التدين والتمسك بدين الإسلام وصمة عار وتخلفًا ورجعية.

وأمام هذه الموجات المتلاطمة والعواصف الجارفة التي تهب بالفساد وقمع الصالحين من العباد، ونصبوا لذلك رايات في كل هضبة وواد، لا يقوى على الصمود والمواجهة إلا العظماء من الرجال، وكما يقال: «لكل زمان دولة ورجال»، فقد هيأ الله سبحانه وتعالى جماعة من أهل العلم والدعوة في بلدان شتى؛ ليذودوا عن حياض هذه الأمة، ويدافعوا عن شرفها وعزتها، التي لا تكون أبدًا إلا بتمسكها بكتاب الله وسنة رسوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فانبرى هؤلاء العلماء للتصدي لكل الأفكار الهدامة، يقارعون الأعداء وتلامذة الغرب من المستشرقين دون أن تلين لهم قناة أو تخور لهم عزيمة، مع قلة من أمثالهم من الرجال، وصاروا يدبجون ببراعة مقالات نفيسة وتعليقات مفيدة، في كتب ومؤلفات أو مواقف ومناسبات،



وصحف سيارة ومجلات.

وكان من هؤلاء سماحة الشيخ العلامة محمد بن إبراهيم آل الشيخ في أعماله ومؤلفاته التي رصدت كثيرًا من ذلك، وأخص منها: «رسالة تحكيم القوانين»، وسار على منواله تلامذته من أمثال: العلامة الشيخ عبد العزيز بن باز؛ وذلك في كتابه: «القومية العربية»، ومثله شيخنا العلامة العثيمين في كثير من فتاويه ومؤلفاته.

وبرز في مصر آل شاكر؛ أحمد محمد شاكر المحدث، ومحمود محمد شاكر الأديب، وآل قطب، ومحمد حامد الفقي، ومحمد محمد حسين.. وغيرهم، ولعل من أبرزهم في هذا الأستاذ الشيخ محب الدين الخطيب، ومن أجل أعماله: «مجلة الفتح»، والتي كانت بحق منبرًا من أعظم منابر الاحتساب في مطلع القرن العشرين ميلادي، الذي تعرّضت فيه مصر إلى شلاّل هادر من قوى الغزو الفكري المدمّر، يمارس العبث بثوابت الأمّة الإسلامية، وتخريب قيَمِها الأصيلة مشمولًا برعاية الاستعمار الإنجليزي الجاثم على أرض الكنانة آنذاك، والذي كانت تلوذ به وتنضوي تحت جناحه هذه القوى المخرّبة.

ولقد بلغ هذا المدّ الطامي مداه حينما أصدر «طه حسين» كتابه: "الشعر الجاهلي" الذي شكّك في وجود إبراهيم وإسماعيل عَلَيْهِمَاٱلسَّلَامُ رغم ذكرهما في القرآن الكريم، وكذلك كتاب الشيخ

«علي عبد الرازق» الموسوم بـ: «الإسلام وأصول الحكم» الذي أنكر فيه وجود نظام سياسي في الإسلام، وادّعى بأنّ الإسلام دين روحي فقط، ولا يختلف في هذا السبيل عن النصرانية، ليوفّر بذلك تبريرًا شرعيًّا يهوّن على المسلمين مصيبة إلغاء الكماليّين للخلافة الإسلامية، وتحويلها إلى دولة علمانية، وقرت أعين العلمانيين بالشيخ علي عبد الرازق ابن الأزهر الذي صنف كتاب: «الإسلام وأصول الحكم»؛ وإنما كان كتابه كذلك لأن صاحبه من رجالات الأزهر وليس من الفلاسفة أو العقلانيين، وأراد العلمانيون أن يقولوا: «إن رجلًا من رجال الأزهر له تلامذته ومدرسته ومريدوه والمؤمنون بفكره والمتشبعون بمنهجه هو من هاجم فكرة الدولة في الإسلام، وليس كما يزعم البعض أننا فقط من نهاجمه"!.

ورغم القول برجوع علي عبد الرازق عن هذه الأفكار قبل موته، وأنه قال بأن هذه نفثة نفثها الشيطان في صدره، إلا أن العلمانيين لم يذكروا شيئًا عن تراجعه، وظلوا يشيدون في كل المحافل بكتابه؛ في مواجهة هذا البحر الهائج المتلاطم من الغارات الوقحة على مسلّمات الأمة وثوابتها، انبعثت صرخات مخلصة تذبّ عن دينها وهويّتها، إلاّ أنها كانت أصواتًا مبحوحة ومشتتة تفتقد عوامل الترابط والتنظيم، فضاعت أصداؤها في خضمّ هدير أمواج التغريب والغزو الفكري الصاخبة.



في عام (١٩٢٦م) التقى مجموعّة من الشباب المسلم المتحمّس في دار المطبعة السلفية في شارع خيرت في القاهرة، منهم: محب الدين الخطيب، وأحمد تيمور باشا، وأبو بكر يحيى باشا، وعبد الرحمن قراعة، والسيّد محمد الخضر حسين، وعلي جلال الحسيني.. وغيرهم من الشباب المسلم الذي ذهبت نفسه حسرات على ما آل إليه الحال في أرض الكنانة؛ من عدوان سافر على ثوابت الأمة وهويّتها العربية الإسلامية، وآلمهم الضعف الذي اعترى المسلمين فمنعهم من الدفاع عن دينهم، فتمخّض هذا الاجتماع عن إنشاء جمعية لمقاومة هذه الانحرافات ومجالدة المفسدين بالحجة والبيان، وبعد إنشائها بأشهر بدا لهم أن الجمعية بحاجة إلى صحيفة تعبّر عن رأي هذه الجمعية، وتساهم في توصيل أفكارها لأكبر شريحة من الرأي العام، ولا سيما الشباب المثقف المسلم؛ لكن الحصول على امتياز صحيفة إسلامية في ظل تلك الظروف كان أشبه بالمستحيل، بعد ذلك تولى دفّتها الأستاذ محب الدين الخطيب رَحِمَهُ ٱللَّهُ حتى إغلاقها، بيد أن الأستاذ الجليل «أحمد تيمور باشا» رَحِمَهُ ٱللَّهُ بذل جهودًا طيبة ومشكورة لاستصدار امتياز مجلّة، فوُفّق في هذا السبيل، وأصدرت تلك المجموعة مجلّة أُطلِق عليها اسم: «الفتح»، وصدر أوّل عددٍ منها في يوم (٢٩) ذي القعدة من عام (١٣٤٤هـ)، الموافق (١) يونيو (١٩٢٦م)، وتسلّم



رئاسة التحرير فيها الشيخ الأزهري «عبد الباقي سرور»، وكانت المجلّة في موضوعاتها ومادّتها الإعلامية سيفًا مصلتًا في نحور دعاة الغزو الفكري والتغريب والتنصير والاستشراق، هذا إلى جانب اهتمامها بأحوال المسلمين في كل مكان، فسدّت بذلك ثغرةً كبيرةً رغم إمكانياتها المتواضعة، وضيق هامش الحرية الممنوح لها.

كانت مجلة: "الفتح" بحق منبرًا إعلاميًا أصيلًا في الاحتساب، والروّاد فيها من أمثال: أحمد محمد شاكر، وأخيه محمود، وشكيب أرسلان، ومصطفى صادق الرافعي، وشيخ الإسلام في الدولة العثمانية مصطفى صبري، ومحمد الخضر حسين، وعلي الطنطاوي، وتقي الدين الهلالي.. وغيرهم ممن طرّزوا حواشي هذه المجلة بإبداعاتهم، وآثارهم القيّمة، تولّت المجلة مهمّة الردّ على "طه حسين" بعد إصداره كتابه: "الشعر الجاهلي"؛ الذي تضمّن جرأة كبيرة على القرآن الكريم، وأشعل بكتابه هذا فتيل المواجهة بين طه حسين وحزبه التغريبي، وبين العلماء والدعاة، فانبرى له العديد من كُتّاب "الفتح" وفنّدوا شبهاته وآراءه الخطيرة، أمثال: عبد الرزاق الحسني، وعبد الباقي سرور.. وغيرهما، وعن هذه المعركة تقول المجلة مشيرةً إلى مصدر أفكار طه حسين: "ما في الكتاب من مسألة إبراهيم وإسماعيل مسروق من كلام جهلة المبشرين، كصاحب مقالة في الإسلام، وما ذكر عن الشعر



الجاهلي مسروق من متعصّبة المستشرقين لمرجليوث، فالفكرة على سخافتها ليست له في الموضعين".

وتابعت المجلة تطوّرات قضية طه حسين في المحاكم المصرية، ومحاضر التحقيق والاستجواب، وما صدر بحقه من أحكام.

وإلى جانب الرد على طه حسين تصدّت المجلّة إلى افتراءات وهجمات دعاة التغريب في مصر، أمثال: أحمد لطفي السيد، وسلامة موسى، وتوفيق الحكيم، وحسين فوزي، وميشيل عفلق، ومحمود عزمي، وإسماعيل أحمد أدهم.. وغيرهم.

ومما يجب أن يُذكر في هذا المقام أن مجلة: "الفتح" قد أحرزت قصب السبق في كشف حقيقة الحركة الماسونية، في وقت كان الغموض يلفّها ويسدل حولها ستارًا كثيفًا من التعتيم والتزييف؛ إذ تقول المجلة: "إن جل نبغاء المسلمين المستورين كانوا يدينون بالماسونية أكثر مما يتظاهرون بالإسلام، والماسونية بُنيت قواعدها على صرح سليمان؛ لأنها ظاهرًا إنسانية، وباطنًا صهيونية محضة"، والدليل على ذلك أنها اليوم لم تتظاهر بعاطفة نحو ضحايا اليهود، وإنما تظهر الجمود وتعمل سرًّا لقمع التعصّب الإسلامي؛ ابتغاء حماية اليهود، فكان المسلمون يخافون من كلمة التخويف "التعصب الإسلامي" التي كان يلقيها

الأوروبيون لإرهاب العالم؛ فلذلك اجتنبوا كل سعي شريف؛ إرضاء للأجانب، قد اضطلعت المجلة منذ أعدادها الأولى في الردّ على الفرق الباطنية المنتسبة للإسلام، وكشف النقاب عن جذورها الفكرية والعقائدية، تقول المجلة في مجلدها الأول: هذه النحلة من ولائد الباطنية، تغذّت من ديانات وآراء فلسفية ونزعات سياسية، ثم اخترعت لنفسها صورة من الباطل، وخرجت تزعم أنها وحي سماوي، تقوم دعوة الباطنية على إبطال الشريعة الإسلامية، أصلها طائفة من المجوس راموا عند شوكة الإسلام بتأويل الشريعة على وجوه تعود إلى قواعد أسلافهم، وقالوا: لا سبيل إلى دفع المسلمين بالسيف لغلبتهم واستيلائهم على الممالك، ولكننا نحتال بتأويل شرائعهم إلى ما يعود إلى قواعدنا ويستدرج الضعفاء منهم، فإن ذلك يوجب اختلافهم واضطراب كلمتهم.

وركّزت المجلة في هذا السياق على طائفة "القاديانية" الخبيثة التي انتشرت في القارة الهندية، وبدأت تغزو العالم الإسلامي؛ فبينت في مقالات أوضحت فيها الفرق بين الأحمدية والقاديانية، وخطورة كلٍ منهما على الإسلام، وكذلك حذّرت من خطر فرقة "التيجانية" التي تتظاهر بالتصوّف والزهد، ونبّهت إلى خطورة انتشارها في بلدان المغرب العربي؛ لكونها تمنح الولاء للاستعمار الفرنسي، وتوطّد أركانه في تلك البلاد، إذ تقول: "إن صاحب

السجادة الكبرى ألقى خطابًا بين يدي الكونترول سيكلوني الفرنسي، تحدّث فيها عن الخدمات الجليلة التي قامت بها الطائفة التيجانية لفرنسا في توطيد الاستعمار الفرنسي، وفي سبيل تسهيل مهمة الاحتلال على الفرنسيين، وفي إشارات التعقّل التي كانت تسبّبها هذه الطريقة الصوفية لمريديها".

كان من الطبيعي أن تهتم مجلة: "الفتح" بقضية التربية والتعليم، وأن توليها ما تستحقّه من اهتمام، لا سيما وقد أدرك الغيورون في مصر خطر البرنامج "الدنلوبي" الذي زرعته بريطانيا في قلب وزارة التعليم المصرية، فقام "دنلوب" -الخبير الإنجليزي- بصياغة المناهج التربوية وفق الرؤية الغربية التي تتوافق مع سياسات بريطانيا تحت حجة تطوير المناهج، فقالت المجلة محذرةً من خطورة هذا البرنامج على النشء في مصر: "إن الطريقة الدنلوبية علّمت شباب مصر أن العروبة والإسلام شيء أجنبي طرأ على مصر، واحتلّتها كاحتلال الفرس والبطالسة والرومان والإنجليز، مع أن العروبة والإسلام هما روح مصر وكيان مصر، بل هما مصر منذ نحو أربعة وعشرين قرنًا إلى الآن".

ثم تقول: "إن التعليم الدانلوبي في المدارس أهمل آداب الإسلام وتاريخ الإسلام وأمجاد الإسلام، فخرج لنا أبناء محرومين من سلاح الفضائل الإسلامية، وفي التعليم يجب أن نبني في الشباب

المصري الاعتماد على النفس في حياته الاستقلالية والاقتصادية، والاعتزاز بتاريخه القريب الذي تكوّنت به قوميّته الحاضرة منذ أربعة عشر قرنًا".

وكشفت المجلة النقاب عن الدور التخريبي الذي تلعبه **الجامعة الأمريكية في القاهرة في أكثر من عدد،** من ذلك ما قام به أحد الطلبة فيها من كشف للمراجع التي يرشد أساتذتها الطلاب إلى قراءتها، ومن بينها كتاب خبيث مليء بالطعن والتطاول على مقام النبي ﷺ[(١)].

» ومن الجهود الاحتسابية:

تعليقات العلامة أحمد محمد شاكر على تفسير ابن جرير

---

(١) استمرت مجلة الفتح في مسيرتها الميمونة حتى عام (١٣٦٦هـ)، الموافق (١٩٤٨م)، وكان سبب توقّفها هو موجة التضييق على العمل الإسلامي التي سادت مصر بعد هزيمة (١٩٤٨م) أمام اليهود، فنال مجلة الفتح ما نال غيرها من الأذى والإغلاق والمصادرة، وجفّ مدادها بعد اثنين وعشرين عامًا من الجهاد الثقافي المتميّز الذي لا نجد وصفًا له أفضل وأصدق من وصف الأستاذ مصطفى السباعي إذ قال: "وما كنا نتصل بالفتح حتى بدأنا نعرف واجبنا في الحياة كشبّان مسلمين، وأخذنا ندرك خطر ما يبيته الاستعمار من وسائل الكيد للمسلمين، وتأجّجت في أفئدتنا نار الحمية لدين الله، والنقمة على أعدائه، وشعرنا بأن الفتح هي همزة الوصل بيننا وبين أقطار الإسلام"
راجع: محب الدين الخطيب د. خالد النجار مقالات متعلقة الرابط:
http: //www. alukah. net/culture/039396//#ixzz3Y3FG2D3G).

الطبري، وعمدة التفسير مفصلًا القول عن آيات الحاكمية، وتكفير من لا يحكم بشريعة الله، وتعليقاته لا تزال مصدرًا هامًا لمن جاء بعده من العلماء المجاهدين الذين فتح الله بصيرتهم، وبالرجوع إلى كتابه: «كلمة الحق» نجد دفاعه عن هذا الدين الحنيف، وتصديه للمبتدعين، والخرافيين، وللمستشرقين.. وغيرهم.

ولا يفوتنا في هذا السرد المختصر الإشارة إلى الجهود التي بذلها العلماء في المغرب العربي لإنكار البدع والأفكار الاستعمارية معًا، ونخص بالذكر هنا: «جمعية العلماء المسلمين» بالجزائر، بزعامة الشيخ عبد الحميد بن باديس الذي أسس هو ومن معه من العلماء الجمعية على أساس إصلاح عقيدة الجزائريين من أنواع البدع والخرافات، ودعا إلى الاجتهاد ومحاربة التقليد والجمود الفكري؛ وذلك بالتعميق في القرآن الكريم والسنة النبوية، وقد كان لجمعيته دور كبير في محاربة الاستعمار الفرنسي، والذي نال الجزائر بها استقلاله عام (١٣٨٢هـ) (١٩٦٢م).

لقد أدركت "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين" بوضوح أن العلة في بقاء الاستعمار جاثمًا على صدر الأمة دهرًا طويلًا، تكمن في ما يسمى بالقابلية للاستعمار، والتي مردها إلى ما طرأ على الشعب من انحراف في عقيدته وفكره، وأن العلاج الصحيح يتمثل في إزالة تلك العلة من أساسها، وهو ما يعبّر عنه الأستاذ مالك

بن نبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، بقوله: "إن القضية عندنا منوطة أولًا بتخلصنا مما يستغله الاستعمار في أنفسنا من استعداد لخدمته".

أو كما قال أحد الصالحين: "أخرجوا المستعمر من أنفسكم يخرج من أرضكم".

وذلك مصداقًا لقول الحق تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ**﴾ [سورة الرعد: ١١]. .

■ **والجمعية ركّزت على الأهداف التالية:**

١- **إصلاح عقيدة الشعب الجزائري**، وتنقيتها من الخرافات والبدع، وتطهيرها من مظاهر التخاذل والتواكل التي تغذيها الطرق الصوفية المنحرفة.

٢- **محاربة الجهل بتثقيف العقول**، والرجوع بها إلى القرآن والسنة الصحيحة، عن طريق التربية والتعليم.

٣- **المحافظة على الشخصية العربية الإسلامية للشعب الجزائري**، بمقاومة سياسة التنصير والفرنسة التي تتبعها سلطات الاحتلال.

وقد كان للجمعية الفضل الأكبر في تثبيت دعائم الإسلام في الجزائر، ونشر اللغة العربيّة، وإنشاء المدارس، ومحاربة البدع



والخرافات، والوقوف في وجه دُعاة الاندماج مع فرنسا، وإذا كان الجناح الاستقلالي قد رفع راية الاستقلال فإن جمعية العلماء وضعت الأسس التي يقوم عليها الاستقلال، وهو إحياء الشعب الجزائريّ في إطاره العربيّ الإسلاميّ، إنه من السهل إقامة دول ولكن من الصعب إحياء أمم، وهذا الصعب هو ما قامت به جمعية العلماء، يقول الشيخ الإبراهيمي: «لا تستطيع هيئة من الهيئات العاملة لخير الجزائر أن تدّعي أنّ لها يدًا مثل الجمعية في توجيه الأمة الجزائرية للصالحات، ورياضتها على الفضيلة الإسلاميّة، وأما عملها للعروبة فها هنا معاقد الفخار»[1].

(٢) الاحتساب على خرافات الصوفية(٢): «وهذا وقع في كثير من بلاد المسلمين في مصر والشام والهند وباكستان والمغرب وإفريقيا والسودان، وأخص بالذكر ما كان من احتساب العلماء على «محمد علوي مالكي» في كتاب: «الذخائر المحمدية»، وقد

---

(١) للمزيد انظر: ناصر الدين سعيدوني: الجزائر، منطلقات وآفاق (٢٢٤). وكذا كتاب: الآثار الكاملة (٣/ ٥٦).

(٢) الكتب والرسائل في بيان بدع الصوفية كثيرة، ومن أحسنها كتب شيخ الإسلام ابن تيمية، ففيها كشف لألاعيبهم وباطلهم، وكتب من المعاصرين الشيخ عبدالرحمن عبد الخالق.. وغيره، وللشيخ محمود عبد الرؤوف قاسم كتابًا جيدًا اسمه: (الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ).



وقف أهل العلم وعلى رأسهم هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية أمام هذه الأباطيل موقفًا قويًا والحمد لله، وأصدرت هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية قرارًا بعدد (٨٦) في (١١/ ١١/ ١٤٠١هـ) بخصوص محمد بن علوي المالكي ناقش أمره وما يتخذ بشأنه، ورأى أنه ينبغي جمع الأمور الشركية والبدعية التي في كتابه: «الذخائر المحمدية»، مما قال فيها: إنها خطأ فاته التنبيه عليه، وتطبق على المحضر، ويكتب رجوعه عنها، ويطلب منه التوقيع عليه، ثم ينشر في الصحف ويذاع بصوته في الإذاعة والتلفزيون، فإن استجاب لذلك، وإلا رفع لولاة الأمور لمنعه من جميع نشاطاته في المسجد الحرام ومن الإذاعة والتلفزيون وفي الصحافة[١]، ولكنه

---

(١) وقد كتب بعض أهل العلم ردودًا قوية عليه – ولله الحمد – منها:

(١) هذه مفاهيمنا رد على كتاب مفاهيم يجب أن تصحح لمحمد علوي المالكي، تأليف الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ / ط الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء بالسعودية.

(http://saaid.net/book/open.php?cat=89&book=1035)

(٢) جلاء البصائر في الرد على كتابي شفاء الفؤاد والذخائر، للشيخ سمير بن خليل مالكي، وهو ابن عم محمد بن علوي مالكي ولكنه من أهل السنة، والحمد لله.

(http://saaid.net/book/open.php?cat=88&book=1225)

(٣) وجاءوا يركضون.. مهلًا يا دعاة الضلالة" للشيخ أبي بكر الجزائري، وهو رد على بعض دعاة الخرافة ممن كتبوا في الدفاع عن المالكي.

(٤) حوار مع المالكي في رد منكراته وضلالاته، للشيخ عبد الله بن منيع،=



تعنت بعد ذلك، ولج في الدفاع عن تلك الخرافات فما أغنى عنه ذلك، وكان لتلك الاستتابة أثرها في تحذير كثير من الناس، وذلك أن الرجل كان ينطلق من مكة شرفها الله لنشر بدعه في الآفاق، ولا يعنينا في هذا الصدد من تعصب له حمية ودافع عنه بالباطل فتلك سنة الله في الذين خلوا، فريقًا هدى وفريقًا حق عليه الضلالة.

(٣) احتساب العلماء على ظاهرة الإرجاء: التي ظهرت بشكل مخيف، وانبرى لترويجها عدد كثير من الكتَّاب، يعتمدون على نقولات مبتورة من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ.. وغيره، مما سبب ارتباكًا عند كثير من الناس في مسمّى الإيمان، فقام العلامة الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد، ومن قبله الشيخ العلامة سفر ابن عبد الله الحوالي والشيخ عبد الرحمن عبد الخالق.. وغيرهم، بالرد على هذه البدعة المنكرة في كتب وأطروحات ومؤلفات، مما كان سببًا في استبصار كثيرين، ولكن الأثر الأكبر في الاحتساب على هذه الفكرة والتخفيف من غلوائها كان بعد صدور مجموعة من «الفتاوى والبيانات» التي صدرت من اللجنة الدائمة للبحوث

= وتقديم الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ط الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء بالسعودية.

(٥) الرد على الخرافيين، (دراسة عن الصوفية) للشيخ سفر الحوالي. وهي في الأصل خمسة أشرطة تحمل نفس العنوان، (http://saaid.net/book/open.php?cat=1&book=733).

العلمية والإفتاء في التحذير من ظاهرة الإرجاء، وبعض الكتب الداعية إليه[1]، وتحذير المسلمين من الاغترار والوقوع في شراك المخالفين لما عليه جماعة المسلمين؛ أهل السنة والجماعة، والتحذير حينها من الكتب الحديثة الصادرة عن أناس متعالمين، لم يأخذوا العلم عن أهله ومصادره الأصيلة، وقد اقتحموا القول في هذا الأصل العظيم من أصول الاعتقاد، وتبنوا مذهب المرجئة، ونسبوه ظلمًا إلى أهل السنة والجماعة، ولبَّسوا بذلك على الناس، وعزوه عدوانًا بالنقل عن شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى.. وغيره من أئمة السلف بالنقول المبتورة، وبمتشابه القول، وعدم رده إلى المُحكمِ من كلامهم، فرد الله بتلك الجهود كثيرًا من الناس عن فتنة الإرجاء.

(٤) **الاحتساب على بدعة الغلو في التكفير**: وكذلك أيضًا ما كان من النكير على البدعة المقابلة لبدعة الإرجاء؛ ألا وهي بدعة الغلو في التكفير؛ والتي عصفت بكثير من الناشئة والشباب في كثير من البلدان، خاصة بعد ظهور ما سمي بجماعة المسلمين أو ما أطلق عليها جماعة مصطفى شكري، وقد انبرى العلماء في مصر.. وغيرها في الرد على أفكار وشبهات هذه الجماعات، وقد

---

(١) فتوى رقم: (٢١٤٣٦)، وتاريخ: (٨/ ٤/ ١٤٢١هـ) في التحذير من مذهب الإرجاء، وتحقيق النقل عن شيخ الإسلام فيه.

تفاقم أمرها مع تأزم أوضاع المسلمين وانسداد الأفق السياسي في بلدانهم بعد ثورات الربيع العربي، وما أمر «داعش»[1] عنا ببعيد؛ حيث ثبت غلوّهم في مسائل كثيرة، وانتهاجهم نهج الخوارج، واستباحة دماء الجماعات الأخرى بذريعة أنهم من المرتدين.

«ولـمَّا كانت السِّمةُ البارزة عند الخوارج مسألةَ الخروج على الأئمَّة، ومسألةَ تكفير مرتكب الكبيرة، عدَّ بعضُ العلماء والدُّعاة بعضَ الفصائل الجهاديَّة من فِرقة الخوارج، فكان الردُّ السَّهل والسَّريع منهم: أنَّ هذا افتراء، وقالوا: الخوارج يُكفِّرون مرتكبَ الكبيرة، ونحن لا نُكفِّرهم، والخوارج يَخرُجون على الأئمَّة ولو لم يَرَوْا منهم كفرًا بواحًا، ونحن نخرج على أئمَّة الكُفر والردَّة، ويظنُّون أنه بهذا تندفع التُّهمة، لكن يَغفُل كثيرون أنَّ من أكبر سِمات الخوارج: التسرُّعَ في التكفير، والتسرُّعَ في الخروج، الذي ذاقت منه الأمَّة ويلاتٍ، مِن سفْك للدِّماء، ودَمار للبِلاد، كما أنَّ تكفير مرتكِب الكبيرة - كما هو منهج الخوارج - والتسرُّع في تكفير المعيَّن دون تحقُّق للشروط وانتفاء للموانع، كلاهما خلافُ

(١) هذا ومن أفضل ما كتب في بيان حقيقة من يسمون بداعش، كتاب: «الدولة الإسلامية بين الحقيقة والوهم» للشيخ محمد المنصور، أما ما كتب في التحذير من الغلو عامة؛ فكثيرة، منها: الغلو في الدين، لعبد الرحمن اللويحق المطيري، وضوابط التكفير عند أهل السنة والجماعة، لعبد الله القرني.



منهج السَّلف، وهو مِن سمات الخوارج أيضًا، فمن كان من أهل التسرُّع في التكفير والخروج ونفَى عن نفسه تُهمةَ الخارجيَّة، كان كمرجئة العصر الذين نَفَوْا عن أنفسهم الإرجاءَ بحُجَّة أنَّهم يقولون: الإيمانُ قولٌ وعمل، يَزيد بالطاعة وينقُص بالمعصية، مع أنَّهم يُخرجون عمَلَ الجوارحِ كلَّه من أصل الإيمان، وكِلَا الفريقين مجانبٌ للصَّواب، والله الهادي إلى سواء السبَّيل.

فلا يلزم موافقةُ فِرقة من الفِرق في كلِّ عقائدها؛ ليُطلقَ على شخص أنَّه منها، بل تكفي موافقتُها في أبرز أصولها، كما لا يلزم مَن كانت فيه خَصلةٌ أو خِصال من إحدى الفرق أن يُعدَّ منها، لكن يُقال: وافق هذه الفرقةَ في هذه الخِصال. وأنا هنا لست أقرِّر أنَّهم خوارج أم لا، لكن حسبي أن يُعلم أنَّ الغلوَّ والتسرُّعَ في التكفير من سماتِ وخصالِ الخوارج.

وممَّا لا شك فيه أنَّ الغلوَّ والتسرُّعَ في التكفير يؤدِّي إلى التساهُل في إراقة الدِّماء المعصومة؛ فهو نتيجة حتميَّة)[١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ **تعالى**: «يجب الاحتراز من تكفير المسلمين بالذنوب والخطايا؛ فإنه أول بدعةٍ ظهرت في

---

(١) مقالة «إشكالية الغلو في الجِهاد المعاصِر» للشيخ علوي بن عبدالقادر السَّقَّاف.
http://www.dorar.net/article/1687



الإسلام فكفّر أهلُها المسلمين، واستحلوا دماءهم وأموالهم»[1].

وقال أيضـًا: «ولا يجوز تكفير المسلم بذنبٍ فعله، ولا بخطأٍ فيه، كالمسائل التي تنازع فيها أهل القبلة، والخوارج المارقون الذين أمر النبي ﷺ بقتالهم، قاتلهم أمير المؤمنين عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أحد الخلفاء الراشدين، واتفق على قتالهم أئمة الدين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، ولم يكفرهم عليّ بن أبي طالب وسعد بن أبي وقاص وغيرهما من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، بل جعلوهم مسلمين)[2].

ويقول أبو حامد الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ **تعالى:** «والذي ينبغي أن يميل المحصل إليه؛ الاحتراز من التكفير ما وجد إليه سبيلاً؛ فإن استباحة الدماء والأموال من المصلين إلى القبلة المصرحين بقول: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، خطأ، والخطأ في ترك ألف كافر في الحياة أهون من الخطأ في سفك محجمة من دم مسلم»[3].

ولا يزال أمر هاتين الطائفتين بحاجة إلى مزيد من الاحتساب، سواءً بالكتابة والتأليف، أو بالمحاورة والمناظرة؛ للحد من آثارهما والتخفيف.

---

(١) مجموع الفتاوى (١٣/ ٣١).

(٢) مجموع الفتاوى (٣/ ٢٨٢).

(٣) الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ.ص ١٣٥.

(٥) احتساب جماعات من العلماء على دعوة التقريب بين الأديان: هذه الدعوة التي لها أسماء شتى وهدفها واحد، فتارة تسمى: الدعوة إلى التقريب بين الأديان، وتارة: نبذ التعصب الديني، أو: الإخاء الديني، أو: وحدة الأديان، أو: توحيد الأديان الثلاثة، أو: التعايش بين الأديان، أو: تلاقي الحضارات والتعايش فيما بينها، لدرجة أن هناك من فكر في طباعة القرآن الكريم والإنجيل والتوراة المحرفتين في كتاب واحد، بل أقيمت صلاة مشتركة حضرها مع الأسف الشديد البعض ممن يمثل بعض المؤسسات الإسلامية، وكان إمامهم في الصلاة البابا النصراني الكافر، فصلى باليهود والنصارى والمسلمين، وبذلك قدم نفسه زعيمًا للأمم، وحدد لهم عيدًا خاصًا سماه: «عيد التآخي»، ونشيدًا موحدًا سماه: «نشيد: الإله الواحد رب وأب»، تعالى الله عما يقوله الكافرون علوًا كبيرًا، وقد بني في بعض الأماكن وفي إحدى الدول الإسلامية كنيسة ومعبد ومسجد في مكان واحد، وكل هذا سعي من اليهود والنصارى والمنافقين لإخراج المسلمين من دينهم وإماتة روح الجهاد عند المسلمين وإلغاء عقيدة الولاء والبراء.

ولقد انبرى بعض أهل العلم والغيرة على الإسلام في الرد على هؤلاء الذين انساقوا وراء هذه الدعوات المشبوهة، وشاركوا فيها بالندوات والمحاضرات والاجتماعات، وبينوا الحكم الشرعي في

هذه المشاركة، وحكم الاستجابة لهذه الدعوة الكفرية، ومن هؤلاء فضيلة الشيخ بكر عبد الله أبو زيد عضو هيئة كبار العلماء، ورئيس المجمع الفقهي رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ حيث ألف كتابًا سماه: «الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام.. وغيره من الأديان»، وإن الدعوة إلى هذه النظرية نفاق ومشاقة وشقاق، وعمل على إخراج المسلمين من الإسلام، لا تجوز الاستجابة لدعوة بناء مسجد وكنيسة ومعبد في مجمع واحد؛ لما فيها من الاعتراف بدين يعبد الله به سوى الإسلام.

والواقع أن هذه البدعة المنكرة ليست بدعًا في تاريخ الإسلام، بل سبقهم إليها الحلولية المتصوفة، كما ينقل شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن ملاحدة الصوفية: كابن سبعين، وابن هود، والتلمساني.. وغيرهم، أنهم كانوا يسوغون للرجل أن يتمسك باليهودية والنصرانية كما يتمسك بالإسلام، ويجعلون ذلك طرقًا إلى الله بمنزلة مذاهب المسلمين، بل ذكر الشيخ إن هؤلاء المنحرفين يميلون إلى دين النصارى أكثر من دين المسلمين؛ لما فيه من إباحة المحظورات: كالخمر مثلًا، ولأنهم أقرب إلى الاتحاد والحلول، بل ربما استحى الواحد منهم أن ينتسب للإسلام بحضرة هؤلاء الكفار![1].

(١) انظر الفتاوى (١٤/ ١٦٤-١٦٥) نواقض الإيمان، العبد اللطيف (٣٧٨)، الرد على المنطقين (٢٨٢).

(٦) احتساب الدعاة والغيورين في شبه القارة الهندية على القرآنيين[١]، ومنكري السنة، والقاديانية[٢]، والبهائية وغيرهم من تلك الطوائف

---

(١) عن نشأة هذه الطائفة الضالة قال الدكتور مزروعة: «وضع الإنجليز أيديهم على شبه القارة الهندية، ودانت لهم طوائفها وفرقها من الهندوس والبوذيين.. وغيرهم ممن يدينون بغير الإسلام، أما المسلمون الذين كانوا يمثلون قلة في الهند فلم يسلس قيادهم للإنجليز المستعمرين، ولم يهادنوهم يومًا؛ لذلك كان المسلمون بالهند يمثلون للإنجليز المستعمرين خطورة على سلطتهم وبقائهم في تلك البلاد، وكان المسلمون لا يفتأون يلبون داعي الجهاد ضد الإنجليز، ويقومون بالثورات العديدة التي كان أشهرها ثورة مايو من عام سبعة وخمسين وثمانمائة وألف للميلاد. وقد كان الإنجليز بالمقابل يمقتون المسلمين فوق مقتهم الطوائف الأخرى، وقد كانوا يدبرون المؤامرات والمكايد ضد الإسلام والمسلمين في تلك البقاع، ورغم خطط ومؤامرات الإنجليز الكثيرة ضد المسلمين إلا أنهم تميزوا بخطة معينة أحكموها وبرعوا فيها، وقد حققت لهم أغراضهم وأهدافهم من تفريق صفوف المسلمين، وكانت خطتهم تلك تقوم على أن يستقطبوا أشخاصًا من المسلمين يرون فيهم قبولًا لبيع دينهم وأمتهم مقابل السلطة والمال، فيجندونهم للعمل ضد الإسلام والمسلمين:

فمنهم: من يدعي النبوة، مثل: ميرزا غلام أحمد القادياني -لعنه الله-.

ومنهم: من يدعي حب رسول الله ﷺ فيخلع على النبي بهذه الحجة بعض صفات الله سبحانه، وذلك مثل: أحمد رضا خان.

ومنهم: من يدعي أنه مجدد القرن، مثل: أحمد خان الذي أخلص للإنجليز إلى حد أن باع دينه وضحى بأمته في مقابل ولائه المطلق للإنجليز». «شبهات القرآنيين حول السنة النبوية» إعداد: أ. د. محمود محمد مزروعة (ص:٢٩).

(٢) يعتقدون التناسخ والحلول، وأن الأنبياء تتناسخ أرواحهم وتتقمص روح=



التي زعمت الاعتماد على القرآن وحده، وطرح السنة النبوية المطهرة، وأخذت تدعو إلى نحلتها بهمة ونشاط تحت رعاية الاستعمار الإنجليزي، ثم انتقلت من الهند إلى باكستان بعد التقسيم تحت اسم: «البرويزيين»، ومن أبرز دعاة القرآنيين سير أحمد خان، أو السيد أحمد خان، ومولوي عبد الله بن عبد الله الجكرالوي نسبة إلى بلدة «جكرالة» التي ولد بها، وهي إحدى قرى إقليم «البنجاب»، وقد فصل الباحث خادم حسين بخش في تراجم أهم دعاتهم وفرقهم من المتقدمين والمعاصرين في كتابه: «القرآنيون وشبهاتهم حول السنة»، وكتاب: «شبهات القرآنيين حول السنة النبوية» إعداد أ. د. محمود محمد مزروعة، وانبرى العلامة الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي في دحض شبهاتهم في كتابه العظيم: «نصرة الحديث في الرد على منكري الحديث»، والأخ الدكتور: صلاح الدين مقبول أحمد في بحث بعنوان: «زوابع في وجه السنة».

= بعضِهم، وحقيقَتُه جَسَد وحقيقَةَ آخرين، وتظهر في مظهر الجسد الآخر تمامًا، وقد قال بهذا القادياني ليصل إلى تثبيت نبوته، كما أن للقادياني أقوالًا كفرية في وصف الله تعالى؛ فهو يزعم أن الله قال عن نفسه: بأنه يصلي ويصوم ويصحو وينام، وأنه يخطئ ويصيب! قال القادياني: «قال لي الله: إني أصلي وأصوم وأصحو وأنام»، وقال أيضًا: «قال الله: إني مع الرسول أجيب؛ أخطئ وأصيب، إني مع الرسول محيط».

يقول الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أما هؤلاء المتأخرون فجاءوا بداهية كبرى ومنكر عظيم وبلاء كبير، ومصيبة عظمى؛ حيث قالوا: "إن السنة برمتها لا يحتج بها بالكلية"، لا من هنا ولا من هنا، وطعنوا فيها وفي رواتها وفي كتبها، وساروا على هذا النهج الوخيم، وأعلنه كثيرًا العقيد القذافي الرئيس الليبي المعروف، فَضَلَّ وأضلَّ، وهكذا جماعة في مصر وغير مصر، قالوا هذه المقالة فضلوا وأضلوا، وسموا أنفسهم: بالقرآنيين، وقد كذبوا وجهلوا ما قام به علماء السنة؛ لأنهم لو عملوا بالقرآن لعظموا السنة وأخذوا بها، ولكنهم جهلوا ما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله فضلوا وأضلوا»[1].

وكذا ظهر إنكار السنة الكلي في مصر والاكتفاء بالقرآن، وكان أبرز الدعاة: الطبيب محمد توفيق صدقي، ومحمود أبو رية، والطبيب أبو شادي أحمد زكي.. وغيرهم، وكان من أبرز المحتسبين على هؤلاء المبتدعة عدد من العلماء والباحثين من أقطار شتى، منهم: الدكتور مصطفى السباعي في كتابه: "السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي"، والأستاذ: عماد السيد الشربيني في كتابه: "السنة النبوية في كتابات أعداء الإسلام .. مناقشتها والرد عليها"، والدكتور: محمد أبو شهبة في سفره الماتع: "دفاع عن السنة"، والدكتور: عبد الموجود محمد عبد اللطيف في بحث: "السنة

---

(١) من كتاب مجموع فتاوى و مقالات ابن باز الجزء رقم ٩ الصفحة رقم ١٥٦



النبوية بين دعاة الفتنة وأدعياء العلم"، والدكتور: عبدالمهدي عبد القادر عبد الهادي في كتاب: "دفع الشبهات عن السنة النبوية"، والشيخ عبد الرحمن المعلمي في كتابه العظيم: "الأنوار الكاشفة لما في كتاب أضواء على السنة من الزلل والتضليل والمجازفة"، ولا يفوتنا في هذا كتاب: "دراسات في الحديث النبوي" للشيخ محمد الأعظمي.

(٧) الاحتساب على الجمهوريين، والترابي، والرافضة في السودان، لم يكن السودان بدعًا من البلاد في النأي عن الطوائف البدعية، بل نال السودان من ذلك شيء كثير، بيد أن من أعظم البدع مع تفشي خزعبلات الخرافيين من المتصوفة وملاحدة الشيوعية: ظهور طائفة الجمهوريين بقيادة المهندس: «محمود محمد طه»، الذي عرف بالقدرة على المجادلة والملاحاة؛ حيث زعم أنه تلقى رسالة عن الله كفاحًا بدون واسطة، وأن الدين هو الصدأ والدنس، وقد قام في ظل الأوهام والخرافات والأباطيل التي صحبت علمنا بالله وبحقائق الأشياء، وبما يمليه علينا الواجب نحو أنفسنا ونحو الله ونحو الجماعة، ويرى بأن التكليف في مرحلة من المراحل يسقط عن الإنسان لاكتمال صلاحه؛ إذ لا داعي للعبادة حينذاك، على نحو ما يقول غلاة الصوفية، وهناك أشياء لا يعتبرونها أصلًا من الإسلام: كالزكاة، والحجاب، والتعدد، وبلغ من زندقة «محمود» هذا وفساد

عقله أنْ ظنَّ أن أحكام الإسلام موقوتة، وأن اختلاف الزمان يأتي على أصلها ويغير حقيقتها وفحواها، فأصدر منشورًا بعنوان: «تطوير الأحوال الشخصية»، ذكر فيه آيات القرآن في شأن الميراث والشهادة، ثم قال معللًا تلك الأحكام: «فقد كانت المرأة في القرن السابع قاصرة عن شأو الرجال، وليس القصور ضربة لازب، وإنما هو مرحلة تقطع مع الزمن والصيرورة إلى الرشد حتم».

ومن هرطقته قوله: في كتابه: «الرسالة الثانية»: «ويومئذ لا يكون العبد مسيَّرًا، إنما هو مخيَّر، قد أطاع الله حتى أطاعه الله معارضة لفعله، فيكون حيًا حياة الله، وقادرًا قدرة الله، ومريدًا إرادة الله، ويكون الله»[1].

ويقول في كتابه: «أدب السالك في طريق محمد»: «فالله تعالى إنما يعرف بخلقه، وخلقه ليسوا غيره، وإنما هم هو في تنزل، هم فعله ليس غيره، وقمة الخلق وأكملهم في الولاية، هو الله، وهو الإنسان الكامل، وهو صاحب مقام الاسم الأعظم «الله»، فالله اسم عَلَم على الإنسان الكامل»[2].

تعالى الله عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا، وأحسن تصوير لفكر الرجل ما قاله الشيخ العلامة محمد نجيب المطيعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى

(١) الرسالة الثانية، لمحمود محمد طه، (ص:٩٠).

(٢) أدب السالك في طريق محمد، لمحمود محمد طه، (ص:٨).



في كتابه: «حقيقة محمود محمد طه»: «والحقيقة التي استخلصناها من دعوة هذا الرجل هي أنها مزبلة تاريخية؛ إذ تراكمت فيها كل جيف الفكر القديم والدعوات الهدامة على مدى التاريخ، وهي مزبلة عصرية؛ إذ تراكمت فيها كل أفانين الفكر الهابط من دهرية ووجودية وشيوعية وفرويدية ولا معقولية وهيبزية»[1].

هذا وقد أفتت هيئات شرعية ومجامع فقهية ومحاكم إسلامية معتبرة بردة الرجل وفساد فكره، وإن هذا الحكم ينسحب على كل من يؤمن بأفكاره تلك ويتابعه في هرطقته وزندقته، فصدرت فتوى المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي في (٥) ربيع أول (١٣٩٥هـ) بردته، وأنه يجب على المسلمين أن يعاملوه معاملة المرتدين، وصدرت كذلك فتوى مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف بتاريخ: (٥/ ٦/ ١٩٧٢م) بأن كلام محمود كفر صراح لا يصح السكوت عليه، وصدر الحكم بردة محمود من المحكمة الشرعية يوم (٢٧) شعبان (١٣٨٨هـ) الموافق (١٨/ ١١/ ١٩٦٨م)، ثم صدر حكم آخر من المحكمة الجنائية رقم: (٤) بأم درمان بتاريخ: (٨/ ١/ ١٩٨٥م)، ثم قرار محكمة الاستئناف الجنائية بالخرطوم الصادر في (١٥/ ١/ ١٩٨٥م)، وقد أراح الله العباد والبلاد من شره بعدما نُفذ فيه حكم الإعدام في يوم الجمعة (٢٧) ربيع الثاني (١٤٠٥هـ).

---

(١) حقيقة محمود محمد طه، للشيخ محمد نجيب المطيعي، (ص:٢٧).

ثم كانت بدع حسن الترابي، والتي نقل كثيرًا منها إلى الدولة السودانية حين وصل إليها، وكان عرابها، ومن أفحش محدثاته: استباحته الارتداد عن الإسلام، وإنكاره إقامة الحد على المرتد، يقول في مقابلة له مع جريدة المحرر اللبنانية: «حتى إذا ارتد المسلم تمامًا، وخرج من الإسلام، ويريد أن يبقى حيث هو، فليبق حيث هو، لا إكراه في الدين، لا إكراه في الدين، وأنا لا أقول: إنه ارتد أو لم يرتد، فله حريته في أن يقول ما يشاء، شريطة ألا يفسد ما هو مشترك بيننا من نظام»[1].

ويقول أيضًا: «وأود أن أقول: إنه في إطار الدولة الواحدة والعهد الواحد يجوز للمسلم كما يجوز للمسيحي أن يبدل دينه».

ولهذا لما سئل الترابي عن فتوى ردة «سلمان رشدي» صاحب كتاب: «آيات شيطانية» قال الترابي: «هذه الفتوى لا تمثل أكثر من رأي فقهي»[2].

ثم قوله: «بأن اليهود والنصارى مؤمنون، وبأنهم ليسوا بكفار».

وإنكاره نزول المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ، **وتطاوله على الأنبياء** ﷺ، يقول عن رسولنا محمد ﷺ في محاضرة مسجلة بصوته: «ده شخص

(١) جريدة المحرر اللبنانية، (العدد: (٢٦٣)، آب (١٩٩٤م).

(٢) صحيفة الأنباء بتاريخ: (٢٤/ ١/ ١٩٩٨م).



راقي، لكن ما تقولوا: معصوم، ما يعمل حاجة غلط». **بل وقال عنه:** «ويقول أخبار تطلع غلط».

وعن إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ **قال:** «كان شاكًّا في ربه، عابدًا للكواكب قبل البعثة».

ومن عجائبه إقراره بأن الإنسان أصله قرد، وأن نظرية «داروين» لا تعارض القرآن، ثم قوله بما قال به سلفه محمود محمد طه بتطوير الدين والشريعة حتى في نصها، حيث قال: «بل جاءت شريعته -وهي دليل التدين الإسلامي- تحمل قابلية التجديد في طبيعتها ونصها».

هذا بالإضافة إلى زعمه أن حواء أول الخلق وليس آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وإنكاره أشراط الساعة؛ وفتنة القبر، وخروج الدابة، وسخريته من أن يكون في الجنة حور عين، بل وسخريته من سائر الغيبيات الثابتة في الكتاب والسنة، ودعواه أن النبي ﷺ لا يستطيع تفسير القرآن لهذا اليوم، وطعونه في السنة النبوية، مع إنكاره لعصمة النبي ﷺ في البلاغ، وقوله بجواز إمامة المرأة الرجال في الصلاة.

وقد أصدرت الرابطة الشرعية للعلماء والدعاة بالسودان رسالة في الرد على كل تلك الأباطيل.. وغيرها، ومما جاء فيها: «ننبه عامة المسلمين وأهل الفكر منهم خاصة، في داخل السودان



وخارجه، إلى أن الترابي في حقيقته داعية إلى غير دين الإسلام، هذا وإن كشف الأهواء والفتن المضلة، ودحض المقالات المخالفة للكتاب والسنة، وتعرية حقيقة الداعية إليها، وهجره، وتحذير الناس من شره، وإقصائه والبراءة من فعالته لمن أوجب الواجبات، وسنة ماضية في تاريخ الدعاة؛ حتى لا يلتبس الأمر على الأغرار، فيسلكوا بسبب وساوسه وأوهامه سبيل الفجار، وحقٌّ على من ولي أمر المسلمين في هذه البلاد، قطع تطاول الترابي على المحكَّمَات المبينات ومقاضاته في محاكمة شرعية عادلة على غرار ما حوكم به سلفه من قبل «محمود محمد طه» الذي تفاقم شره، فقيض الله تعالى بتقديره من قطع دابره، ولا بد أن يتصدى العلماء لهذا المجترئ على حرمات الدين كما تصدوا لمن قبله، ويطالبوا بإنزال شرع الله عليه»[(١)].

وقد تصدى من قبل لأفكار الترابي جماعات من العلماء والباحثين من داخل السودان وخارجه؛ كان من أبرزهم العلامة محمد نجيب المطيعي، والشيخ الدكتور: جعفر شيخ إدريس، والشيخ الأمين الحاج، والدكتور: محمود الطحان.. وغيرهم.

---

(١) انظر: (الموقف الشرعي من أباطيل الترابي) وفيه تفصيل الرد على هذه الزندقة.

http: //ftp. meshkat. net/node/23102

وأعلن مجمع الفقه الإسلامي بالخرطوم في بيان له أن الدكتور حسن الترابي خالف الكتاب والسنة وما استقر عليه عمل أهل الإسلام قديمًا وحديثًا، وطالبه بالتوبة إلى الله تعالى من القول بغير علم وتضليل جماهير المسلمين.

هذا ولا يفوتنا هنا ما كان في السودان من الاحتساب على الشيعة الرافضة منذ ما يزيد على عقدين من الزمان، وذلك بتتبع أنشطتهم في الأماكن العامة ومعارض الكتب، التي كثيرًا ما حاولوا من خلالها دس كتبهم ومراجعهم التي فيها الطعن في الصحابة، والانتقاص من عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا وأمهات المؤمنين، فانتهض لرد غوائلهم الجماعات والعلماء والدعاة، حتى تكللت جهودهم بالنجاح؛ حيث صدر مؤخرًا القرار الرئاسي بإغلاق الملحقية الثقافية الإيرانية بالخرطوم، وتلا ذلك إجازة قانون يجرم التعدي على الأنبياء والصحابة.

ما يميز الاحتساب على الطوائف البدعية في العصر الحديث:

نلاحظ أن الاحتساب على البدع والمبتدعة رغم وجوده في كثير من بلاد المسلمين اليوم؛ إلا أنه يعتبر نزرًا يسيرًا في مقابل الأمواج المتلاطمة من البدع والمحدثات، **ولعل مرد ذلك إلى أمور، منها:**

١) الرعاية التي تجدها تلك الطوائف من الدوائر الغربية؛ وهذا بين واضح من خلال الوثائق، وعلى سبيل المثال: مؤسس الطائفة المعروفة بالأحمدية ما هو إلا صنيعة الاستعمار البريطاني والفرنسي، وتم تجنيده لاستقطاب الباكستانيين والهنود وسكان الأطراف الإيرانية، ومد يده إلى قيادات البهائية، انطلاقًا من فلسفة خبيثة؛ وهي أن الشجرة تقوى بفرع منها.

وفي الوقت الذي فشلت فيه القاديانية من تحقيق نجاحات لها بالمنطقة العربية فتحت لها إسرائيل ذراعيها، وأصبح للطائفة بها ثاني أكبر مركز بعد بريطانيا، وفي حيفا يوجد أكبر تجمع للقاديانية في فلسطين.

وفي عام (١٩٣٤م) فتحت الطائفة مسجدًا في حيفا اسمه مسجد "سيدنا محمود"، كما أنشأت أيضا استوديو تلفزيونيًا، وتبث على القمر الأوروبي على قناة "إم تي سي".

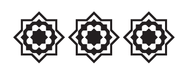
ويمثل القاديانيون عونًا حقيقيًّا للمخابرات الأمريكية في باكستان وأفغانستان.. وغيرهما.

٢) ضعف الحكومات في مواجهة تلك الطوائف البدعية لأسباب منهجية أو سياسية مصلحية، مما حدا بمجموعات



من هذه الطوائف الاستنصار بتلك الأنظمة على العلماء والمحتسبين.

٣) عدم استشعار كثير من النخب المثقفة، وأخص منهم من له اهتمام بالفكر والسياسة خطر الطوائف البدعية على الإسلام وأهله، ولا أدل على ذلك من الغفلة السادرة عن طوائف الرافضة والباطنية التي تحالف معها كثيرون بدعوى وحدة الصف الإسلامي.





المبحث الخامس
معالم منهجية في الاحتساب على المبتدعة

١) التركيز في الإنكار على الطوائف البدعية على البدعة التي ينتحلونها أكثر من الأشخاص الذين يدعون إليها، أي: يكون الأصل هو إنكار هذا المنكر، وتبكيت فاعله، وبيان خطر منتحله، دون التركيز على الفاعل أو القائل بعينه، وهذا منهج القرآن في الجملة، إلا إذا كان صاحب البدعة المعينة رأسًا في الدعوة إليها والترويج لها، فهنا يجب ذكر المبتدع باسمه، مثل ما ذكر القرآن أسماء بعض الكفرة - وهذا قليل في القرآن -، مثل: ذكر القرآن لفرعون، وهامان، وقارون، وذكر القرآن الكريم لأبي لهب، لكن القرآن في الجملة لا يذكر أسماء الكفرة والفجرة ومن يدعون إلى الباطل إلا قليلًا، ويذكر القرآن في الأعم الأغلب صفاتهم وما هم عليه من الخلال السيئة: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِـَٔايَٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾﴾ [سورة المدثر، الآية: ١١-١٧]،. فلم يذكر القرآن اسم الوليد في القرآن قط رغم أنه



ذكره في مواضع كثيرة كما في سورة القلم والمدثر، ولكن بوِصفه من غير ذكرٍ لاسمه، فالشاهد أن المنهج في الإنكار على المبتدعة هو التركيز على البدعة، فلا يصار إلى ذكر الاسم إلا إذا احتجنا لذلك.

٢) ترتيب البدع التي تنتحلها الطائفة، فقد تنتحل الطائفة بدعًا مكفرة وأخرى مفسقة، وقد تنتهج أمورًا سلوكية أخرى من المحرمات التي قد يتأول حتى بعض العلماء في تجويزها أو إباحتها، فهنا ينبغي في منهج الاحتساب على الطائفة البدعية أن نهتم بادئ ذي بدء بالبدعة المكفرة؛ لأن الفساد في ترويجها أو انتحالها أعظم؛ ولأن اعتقاد البدعة المكفرة يعني الخروج عن الملة كحكم عام، فنبدأ بالبدعة المكفرة ويتم التركيز عليها، خاصة في مثل هذا الزمان الذي وظفت فيه كثير من وسائل الإعلام للدفاع عن كثير من أهل البدع والطوائف البدعية، فإذا ركزنا على البدعة المكفرة؛ والنصوص فيها صريحة، والدلالات واضحة، كان ذلك أيسر وأحكم، وأضرب على ذلك مثلًا بالرافضة، الذين جمعوا كثيرًا من البدع؛ منها المكفرة، ومنها المفسقة، فإذا بدأنا بالبدع المفسقة أو المضللة، ولم نركز كثيرًا على البدع المكفرة، مثل: قولهم بتحريف القرآن، وتكفيرهم لكل الصحابة إلا نزرًا يسيرًا، فإن هذا لن يكون كافيًا في بيان حكم هذه الطائفة، ولأن من

يسمع كلامنا ونحن نتحدث عن بدعهم في الصلاة وفي الأذان، أو الخُمُسِ.. ونحو ذلك، يظن أن هذه الطائفة ليست مكفَّرة، وإنما لها بدع كغيرها من الطوائف المنتسبة للسنة من المتصوفة غير الغالية.. وغيرهم.

ونذكر هنا تجربة العلماء والدعاة في السودان في الاحتساب على طائفة الرافضة التي يجهل أهل السودان كثيرًا من تاريخهم ومعتقداتهم، فمع التركيز على معتقداتهم التكفيرية في القرآن والصحابة، اجتمعت حينها كل الطوائف السنية من أهل القبلة على محاربة الرافضة في السودان، لدرجة أن مجموعات من الصوفية أصدرت بيانات في كفر الرافضة والتحذير من انتحال عقائدهم، وآتت بذلك الحملة أكلها كما ذكرنا ذلك آنفًا.

٣) التفريق بين البدعة الناشئة زمانًا أو مكانًا، والمتجذرة مما عمت بها البلوى، وما كانت بدعة خبيثة منكرة وإن طال بها الأمد، وإذا كانت الطائفة البدعية متغلغلة في المجتمع ولها تأثيراتها وامتداداتها؛ فلا ينبغي التركيز على الأشخاص والمؤسسات، وإنما على العقائد والأفعال.

٤) مراعاة قواعد المصالح والمفاسد في الإنكار على تلك الطوائف، بحسب ظروف الزمان والمكان.



٥) التركيز في تحذير المجتمعات على الأصول العامة المتفق عليها، وإبراز الإخلال بها عند الطوائف البدعية، مثل: هدم السنة كلها، وإنكار عصمة النبي ﷺ في التشريع بالنسبة للقرآنيين، وتكفير جملة الصحابة، والقول بتحريف القرآن عند الشيعة، وتجويز الحضرة الإلهية والنبوية والاستغاثة بغير الله تعالى من الأحياء والأموات بالنسبة للصوفية القبورية الخرافية.

٦) تقييد الطوائف البدعية الغالية ببدعتها، وعدم وسمها باسم جامع يشمل معها الطوائف غير الغالية، كأن نقول: الصوفية القبورية أو الخرافية، احترازًا من إيقاع حكم واحد على كل الطوائف الصوفية، وهذا يزيد من الإنصاف الذي يستدعي القبول، ويحصر دائرة المعركة والإنكار، ويكسب موالين حتى من داخل الصف الذي تنسب له الطائفة البدعية.



توصيات البحث

١) إحياء شعيرة هجر المبتدع في الاحتساب على الطوائف البدعية التي نص القرآن عليها، وجاءت في سنته ﷺ، وطبقها السلف بعده، بل نحن أولى بالعمل بهذه السنة وإشاعتها، وكان يتعامل بها السلف مع أهل البدع والأهواء، متنوعة ومتعددة، في مجالات: الرواية، والشهادة، والصلاة خلفهم وعليهم، وعدم توليتهم مناصب العدالة؛ كالإمامة، والقضاء، والتحذير منهم، ومن بدعهم، وتعزيرهم بالهجر.. إلى آخر ما تراه مرويًا في كتب السنة والاعتقاد، مما حرر مجموعه في: «أصول الإسلام لدرء البدع عن الأحكام».

٢) ضرورة إنشاء مراكز متخصصة في الحسبة والإنكار على الطوائف البدعية، وبيان خطرها على الأمة، ومثل هذه المراكز ينبغي العناية بها من جهة:

- **تخير الباحثين الأكفاء.**
- **اختيار المكان الأمثل.**
- **حشد الإمكانيات اللازمة لإنجاح المشروع.**



خاصة وإن كثيرًا من هذه الطوائف البدعية اليوم، لها مراكز تفكيرها وسياساتها، ونحن نجد ذلك عند الرافضة، وعند القاديانية الأحمدية، وعند البهائية، فكل هذه الطوائف.. وغيرها تهتم بأن يكون فكرها منطلقًا من مراكز دراسات، والمحتسبون على هذه الطوائف البدعية ليست عندهم مثل هذه المراكز للأسف، وإن وجدت بعضها فإنها ضعيفة في إمكانياتها ومخرجاتها.

٣) توجيه الباحثين في الماجستير والدكتوراه إلى الكتابة عن هذه الطوائف البدعية وبيان خطرها على الأمة الإسلامية.

٤) تكليف المعنيين بالدراسات القانونية لدراسة القوانين في كل بلد للإفادة من المواد القانونية في الاحتساب على الطوائف البدعية.. وغيرها، والتقليص من انتشارها، ومحاولة تغيير القوانين التي تكون سببًا في الترويج لتلك البدع وحماية أربابها، ونجد هذا في المواد التي تفتح الباب واسعًا للدعوة إلى هذه المحدثات باسم حرية الرأي، وإطلاق العنان للتبشير بكل فكر منحرف.

٥) العناية بالوسائل الإعلامية الحديثة، والتي تستخدمها كثير من هذه الطوائف البدعية وسيلةً لنشر بدعها ومحدثاتها، حتى أربكوا على الشباب أفكارهم، واستمالوا كثيرًا منهم، مما يحتم على العلماء والدعاة والباحثين أن يكون لهم حضور فاعل في هذه الوسائط الإعلامية الحديثة.



٦) **إعداد ثلة من المحتسبين المتمكنين للدخول على بعض تلك القنوات والمواقع الإعلامية المحايدة في الحوار؛ لرد شبهات الطوائف البدعية**، مع الابقاء والتأكيد على أصل توجيه الناس إلى اعتزال قنوات الطوائف البدعية ومواقعهم الإلكترونية؛ حتى لا تروج تلك المنابر بكثرة المتابعة والدخول عليها.

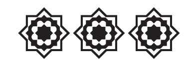
٧) **ضرورة تحصين المجتمع من تفشي البدع والمحدثات**، وذلك عن طريق تضمين الفرق والمذاهب والطوائف البدعية الحديثة ضمن المتون العقدية، أو المناهج التعليمية التي تهتم بالعقيدة؛ لأن المتون في الماضي إنما كتبت لما كان عليه الأمر من البدع والمحدثات، فمع ظهور فرق وطوائف جديدة؛ لا بد من العناية بهذه الطوائف إذا كانت مؤثرة في بلداننا، حتى يكون هناك استيحاش للبدعة في هذه المجتمعات، ولا تأنس النفوس بها، كما قال أبو الحسن الزيات رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: «والله، ما أبالي بكثرة المنكرات والبدع، وإنما أبالي وأخاف من تأنيس القلب بها؛ لأن الأشياء إذا توالت مباشرتها اشتهتها النفوس، وإذا أنست النفوس بشيء قلَّ أن تتأثر له»[١].

(١) المدخل لابن الحاج (١/ ٤٨).



٨) الحرص على نشر الآثار النبوية والسنن المحمدية المرضية بكل الوسائل، وتربية الناشئة عليها، فإن انتشار السنن وذيوعها عامل مهم من عوامل محاصرة البدع ووأدها في مهدها، والعكس بالعكس فالبدعة تميت السنة؛ لأنَّه ما ظهرت بدعة إلا وماتت سنة من السنن، فإن البدعة لا تظهر وتشيع إلا بعد تخلي الناس عن السنة الصحيحة، وظهور البدع علامة دالَّة على ترك السنة، قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «ما أتى على الناس عام إلا أحدثوا فيه بدعة، وأماتوا فيه سنة، حتى تحيا البدع، وتموت السنن»[١].

هذا والله أعلم وأحكم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وأصحابه، ومن اقتفى أثره، ونصر سنته إلى يوم الدين.



(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (١/ ٩٢)، والسنة للمروزي (١/ ٣٢).



الفهرس

الموضـــــــــــــــوع	الصفحة



الموضـــــــــــــــــوع | الصفحة

